مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية
تصدر عن جامعة الكويت
الاصدارات الخاصة

(١٤)

المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة

(من تراث الخليج وشبه الجزيرة)

الكويت ١٩٨٥

أ.د. عبدالعزيز صالح

٦٠١٠٩
ص ٤
٣

الطبعة الأولى - الكويت
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

الطبعة الأولى ـ الكويت
١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية
تصدر عن جامعة الكويت
الاصدارات الخاصة
(١٤)

المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة

(من تراث الخليج وشبه الجزيرة)

أ.د. عبد العزيز صالح

مقدمة

لا جدال في أن وضع الذكور ظل أزكى من وضع الإناث في غالبية المجتمعات القديمة ، في كل من الحقوق والواجبات ، وذلك بناءً على اعتبارات عدة ، بعضها فطري عملي ، وبعضها سطحي مفتعل .

ومن هذه الاعتبارات وتلك ، إلى جانب ما تمايزت به فطرة كل من الجنسين من إمكانات وتبعات ، أن والد البنين كان أظهر بين قومه وأعز مكانة في عشيرته من والد البنات ، وأن العائلات كانت تتطلع إلى الفتى ليكون درءا لها وسندا أكثر من الفتاة ، وأن الأب ذا الحرفة كان أحوج وأميل إلى الولد بخاصة حتى يشاركه خبرته ويعينه في شيخوخته ويرثه في مهنته ، أو يخلفه في مكانته وجلّ ممتلكاته إن كان من ذوى الثراء، وأنه من شأن الرجل أن يورث اسم أسرته لمن يولد له من الأبناء ، ويبقى بالتالى أكثر حفاظا على استمرار كيانها ورعاية شؤونها ، وإعالة ضعافها وصغارها ، من الفتاة . كما أن جريرة الأبناء إذا زلّوا ظلت أقرب إلى التسامح والتغاضي عادة في نظر الأسرة وأعراف المجتمع وأهون عاقبة من جريرة البنات .

واختلفت حدة هذه الفوارق بين وضع الذكر وبين وضع الأنثى من مجتمع قديم إلى آخر . وظلت أشد وضوحا في المجتمعات القبلية البدوية والمحاربة التي يتسع فيها مدى التفاوت في الإمكانات والتبعات بين الجنسين ، ويتحمل الرجال فيها معظم أعباء السعي والترحال ، وملاقاة الأخطار ، ومشقة القتال ، ويستأثرون فيها بالتالي بالفضل والسيادة والمفاخرة ، ويحجبونها عن النساء أو يكادون .

ومع كل هذا التعميم كثيرا ما رددت مؤلفات تاريخية واجتماعية عدة ، قديمة وحديثة ، ما أشار تلميحا أو تصريحا إلى شدة هوان أمر الأنثى وغبنها في الحقوق والالتزامات في مجتمعات شبه الجزيرة العربية بخاصة فيما قبل ظهور الإسلام . وكان مما رتبت هذه المؤلفات مطلق أحكامها عليه ما قيل على سبيل المثال عن نقص الحقوق المدنية للمرأة العربية القديمة من حيث أهلية الوجوب والأداء في إجراء العقود وتحمل الالتزامات وتملك العقار من مصادره الطبيعية كالإرث والوصية والهبة والدية والكسب الخاص ، ثم صعوبة التصرف فيما يحتمل أن تملكه بمثل ذلك إلا بوصاية الأب أو الزوج أو مشاركته ، وقصر وراثة الأب والزوج وذوى العَصَبة ، دونها ، على من قاتل بالرمح وركب الفرس ودافع عن العشيرة وحاز الغنيمة من الأبناء الراشدين أو أقرب الأقربين من الذكور . ثم ما صاحب هذه الأوضاع من انتفاء ولاية المرأة بالتالى لأى شأن ذي بال من شؤون الجماعة ، وقصورها عن الاسهام الفعال في اقتصاديات بيئتها وقيمها العامة .

وفضلا على ما تواتر عن ضمور هذين الركنين في كيان أهلية المرأة العربية القديمة ، وهما ما سوف تركز الدراسة التالية على تغيير بعض المفاهيم والأحكام الشائعة عنهما ، كثيرا ما مهدت المؤلفات الموماً إليها لحديثها عنهما بما تردد عن بعض سلوكيات الجاهلية ، من حيث تلقى مولد الأنثى على كره من أبيها في غالب الأحوال ، وتعرضها للوأد أحيانا خشية إملاق أو دفعاً لاحتمالات السبي والعار . وانصياعها المطلق لأعراف القبيلة والبيئة ، وارتباطها ببعلها بما شابه صلة التابع بمتبوعه . واضطرارها إلى الرضى في بعض الملابسات بأنواع من الزواج مهينة ، كزواج المتعة والبدل والشغار والاستبضاع . ثم إهدار حقوق المطلقة حين الفراق مع تعدد ظواهره ونوعياته . وما روى عن توريث نكاح الأرمل أحيانا لأبناء زوجها من زوجات أخريات ، إن لم يكن لها أولاد . وقد يتزوجها أكبرهم بغير صداق ، وهو زواج المقت (أو الضيزن) ، أو يزوجها لأحد إخوته بمهر جديد ينتفع به . وله أن يعضلها حتى تشتري إرادتها بمال . (وكانت تشريعات آشور في العراق قد أجازت الزواج بامرأة الأب من قبل ، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، على أقل تقدير) .

وسلمت بعض الدراسات المحدثة بفحوى الروايات القديمة التي استشهدت بها على هذه الأوضاع المعيبة وعممت سريانها ، ورتبت عليها توكيد فضل الإسلام في نسخ مساوىء العصور السابقة عليه . بينما خففت دراسات أخرى معدودة من قتامة هذه الرؤية لحال المرأة العربية القديمة ، بناء على ما خالف رواياتها السالفة ، من

شوارد ونوادر وردت في سياق أشعار ومرويات وأساطير جاهلية متناثرة ، لا سيما فيما تعلق بمدى شيوع وأد البنات ، وما تواتر عن بعض أعلام النساء[1] .

- ومع ما يستهدفه البحث الراهن من مراجعة التحقق من مواقف بعض البيئات العربية القديمة إزاء حق المرأة في التملك ، والمشاركة في تصريف شؤون مجتمعها ، حيثما توافرت لها الأسباب والمقومات الملائمة لعصرها ؛ فإنه لا جدال ابتداءً في واقعية ما نبهت إليه آي الذكر الحكيم بخاصة من سوء أوضاع بعض إناث الجاهلية . ولا سبيل كذلك إلى التهوين من إسراف بعض طوائف المجتمع الجاهلي فيما أباحته أو منعته من شؤون نسائها قياساً إلى مطلق حقوق رجالها . كما أنه لا جدال أخيرا في عظم مآثر الإسلام الحنيف في تقويم كثير مما سبقه من أوضاع ، ثم الارتفاع بمنزلة المرأة المسلمة إلى مكانة لم تحظ بها مثيلاتها في شريعة أخرى .

ولكن ، وعلى الرغم من هذه المسلمات كلها ، فلا مندوحة في الوقت ذاته من التنويه ببضعة تحفظات ومحاذير تستوجب مزيدا من البحث . ومن أوليات هذه وتلك ، مغبة تعميم حالات جاهلية فردية أو طائفية معينة على المجتمع العربي القديم بأسره وبكافة أنواع صنوف نسائه ، دون أن تقرن كل حالة منها بدوافعها أو ملابساتها العامة ما أمكن ، ثم تقارن في مجموعها بما عاصرها في المجتمعات الأخرى إذا ما تهيأت مصادر المعرفة بها . وذلك على أن يوضع في الحسبان أن معظم الروايات التي دارت حول أوضاع نساء الجاهلية

(فيما تجاوز ما تناولته منها الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة) قد تداولتها السنة الرواة القدامى شفاهة أجيالا طوالا من قبل أن يتسنى تدوينها في مؤلفات العصور الإسلامية . وهو أمر كان من شأنه أن يعرضها لغير القليل من احتمالات المبالغة والتحوير ، في مجتمع مترامي الأطراف والمسافات مشتت الجماعات والأهواء ، لم ينصهر أهله في وحدة كتابية أو تعاطفية أو تنظيمية متكاملة قبل الإسلام ، على الرغم مما كان بينهم من أواصر الدم واللغة وقرابة الأنساب .

ولم يكن عصر الجاهلية الذي سبق مشرق البعثة النبوية الشريفة ، والذي نسبت أغلب تلك الروايات إلى أيامه ، غير خاتمة متدهورة لعصور عتيقة سبقته وشغلتها مجتمعات وحضارات عربية منوعة ، تفاوتت اتجاهات تقاليدها وسلوكياتها تبعاً لاختلاف أزمنتها ومواضعها ومصادر ثقافتها ، وإن قل الاستشهاد للأسف بها في كتب الاخباريين . بل إن عصر الجاهلية ذاته ، وعلى الرغم من شطط العديد من عاداته ، لم يخل فيما جاء في الأثر من وجود حنفاء مقسطين توارثوا بعض ما دعت إليه ملة ابراهيم عليه السلام ومن سواه من الأنبياء والمرسلين . وهؤلاء لا ريب في أنهم مهما قلت أعدادهم ، قد تقيدوا بمثل عليا في شؤون النساء والولدان ، تمايزوا بها عن جماهير معاصريهم ، وإن ندرت أنباؤهم وقلت تفاصيلها فيما تخلف لنا من مصادر ومراجع قديمة[2] .

بالذكر الحضارات المصرية ، والسورية ، والهيلينستية ، والرومانية[٣] .

نقش سراة الأنباط نصوصا موجزة على واجهات مقابرهم المنحوته في الصخور الجبلية ، وسطوح النصب الحجرية الملحقة بها ، في جبانات مدائن صالح ومدائن شعيب بشمال الحجاز ، وفي البتراء في الأردن . وهدفت هذه النصوص إلى الإشادة بأسماء أصحابها وذكراهم ، وتسجيل دعواتهم وأمانيهم ، ثم توكيد ملكيتهم لمقابرهم ، ووقف استخدامها على مطالب محددة أحياناً ، فضلا على كفالة بقائها في ذمة أعقابهم .

وشأنها شأن غيرها من آثار الحضارات القديمة الأخرى ، ظل الطابع الديني والأخروي هو الغالب على ما بقي حتى الآن من الآثار النبطية ، تبعاً لما أحاط بها قديما من حرمة وقداسة ، ونظرا لإقامة معظمها من الحجر ، على خلاف الآثار الدنيوية التي شيد أكثرها بمواد أخرى أقل صلابة ، ثم تعاقب استخدام الأجيال لها حتى تهدمت .

١ ـ ومن تفاصيل النصوص النبطية ظهرت ملامح معبرة لأوضاع الإناث في المجتمع العربي النبطي القديم . ونبدأ الاستشهاد منها بنص من تسعة سطور نعبر عن مضمونها هنا سطراً فسطراً على حدة على غرار ما يجري عليه أسلوب الترجمة العلمية

للمتون القديمة ، ولكى تتيسر مقارنتها بأصولها حين الضرورة ، مع إثبات علامات الاحتمال أو الشك أو الترادف في مواضعها حيثما وجدت . وتتعاقب سطور هذا النص الذي أرخ بالعام ٤٥ من عهد الملك حارثة الرابع (أو الثالث ؟) وبما يقابل العام ٣٦ الميلادي ، على النحو التالي لمترادفاتها العربية :

١ ـ «هذا هو القبر الذي شاده غانم بن جزيئة وأرسكسة
٢ ـ بنت خيام الاستراتيجى على (شرف ؟) روما وكلبا (أو روني وكلبي ؟)
٣ ـ أخيه (؟) . فلغانم ثلث القبر وهذا الضريح (أو هذا الصرح)
٤ ـ ولأرسكسة الثلثان من القبر والضريح (أو الصرح)
٥ ـ ونصيبها من الجوخات الجانب الشرقي والحفر (التي فيه) .
٦ ـ ولغانم نصيبه من الجوخات شرق الجنوب (أي في الجنوب الشرقي) .
٧ ـ والجوخات التى به لهم ولأولادهم (أولهما وأولادهما) جيلا فجيلا .
٨ ـ (وسجل هذا) بشهر طبت سنة ٤٥ لحارثة ملك النبط .
٩ ـ محب شعبه . (وقد صنعه) أفتح بن عبد (عبدة) المعمارى» .

وكنموذج لما أتت به حرفية النص من عبارات عربية نبطية ذات لكنة آرامية ، نسوق السطور التالية التي تجاوزت عن كتابة حروف الحركة اللينة ، وأبدلت التاء المربوطة الأخيرة في الأسماء تاء مفتوحة أحياناً ، وعبرت عن صلة الابن والابنة بلفظى بر ، وبرت . . ، وهلم جرا :

١ ـ «دنه كفرا دي عبدو غنمو بر جزيات وأرسكسة
٢ ـ برت خيمو أسرتجا بل روما وكلبا (أو رومى وكلبى ؟)
٣ ـ أخيه (؟) فلغنمو تلت كفرا وضريحا دنه
٤ ـ ولأرسكسة تلتين من كفرا وضريحا (أو من قبرا وصريحا ؟)
٥ ـ ٧ .....
٨ ـ بيح (بيرح) طبت شنت ٤٥ لحرتت ملك نبطو .
٩ ـ رحم عمه . . أفتح بر . . . . فسلا عبد . . . .»[1] .

ولا مجال للاسترسال في لهجة الأنباط فوق هذا القدر ، وحسب السياق الراهن من المتن حقيقتان : أولاهما ما نم عنه من أن المقبرة كانت مقبرة أسرية أعدت بملحقاتها لدفن الرجل والمرأة ، أي الزوج والزوجة ، وتوسيد من قدّر له أن يدفن معهما من الإخوة ، ثم من يعقبهما من الأبناء والحفدة ، في مواضع متمايزة منها . أما الحقيقة الثانية وهي الأبلغ دلالة ، فهي تأكيد المتن على تمتع الأنثى (الزوجة) بأهلية التملك الفردي ، حتى وإن كان ضمن زمام عقار مشترك ، دون فرض ولاية الزوج بالضرورة عليه ، ودون اختلاط نصيبها منه بنصيبه ، بل ومع إفراز نصيبها بمقداره ومحتواه ، ثم التوصية بأيلولة ملكية القبر بعد الزوجين إلى الوارثين من الأبناء والحفدة ، دون تفرقة بين ذكورهم وبين إناثهم ، وذلك بما ينم عن نوع ضمني من التساوى في داخل الأسرة .

وإذا تجاوزنا عما يحتمل الشك من تشييد المقبرة ابتداءعلى شرف اسمين بالذات ، وهما رومي وكلبي اللذين تصعب معرفة ما إذا كانا لأخوين أو لأختين للزوج أم للزوجة ، فإنه لا يخلو من دلالة أن نصيب الزوجة أرسكسه قد زاد على نصيب زوجها بمثل مقداره ، فحازت الأنثى ثلثي ملكية المقبرة ، واقتصر نصيبه هو على الثلث . ولم يحدد النص مصدر ملكية الزوجة لنصيبها المضاعف إن كانت قد اشترته بمالها الخاص أم آثرها به زوجها . ولعل الفرض الأول هو الأرجح ، بمعنى أن أفضليتها في التملك ترتبت على بنوتها لشخص ثري عظيم هو خيام الاستراتيجي ، أو خيمو أسرتجا كما قال النص تحريفا عن لقب «استراتيجوس» الإغريقي الأصل ، وهو لقب عسكري وإداري حمله رؤساء الأحياء النبطية ، ولم يكن غريبا أن تضمنت نصوص الأنباط ألفاظاً أجنبية دخيلة في ضوء ما أسلفناه عن اتساع صلات أثريائهم بحضارات العالم الخارجي المعاصرة لهم . وتلك ظاهرةأجازت اللغة العربية القديمة أمثالها حين استعارت في بعض الأحايين ألفاظا حضارية فارسية وإغريقية ورومانية ، ثم عربتها وأدرجتها في مفرداتها بنفس معانيها أو بمدلولاتها محورة قليلا عنها .

٢ ـ وإلى جانب ما أفصح عنه متن غانم وأرسكسة من اكتمال أهلية الأنثى العربية (النبطية) لحيازة ملكية عقارية خالصة لها ، ولو كانت ضمن زمام عقار مشترك ، الأمر الذي يعني بالتالي أهلية ملكيتها للأموال الدنيوية الخاصة أيضا وتوريثها ؛ أبان متن

نبطي آخر ، من العام ٢٥ عهد الملك حارثة الرابع وربما يقابل العام ١٦ الميلادي ، عن الحق المشروع للأنثى في تقبل هبة المقبرة هبة طليقة خالصة تتيح لها أهلية التملك والاستغلال والأداء ، وأقرّ لها بكامل الأهلية في إجراء شتى التصرفات القانونية عليها . ثم وفّر ركن العلنية لعقد هذه الهبة بأن أشهر خبرها كتابة على عقار المقبرة محل الهبة . ولم يذكر الزوج مقابلا لهبته هذه ، مما يعني أنه جعلها تكريما لامرأة زوجة ، ولم يجعلها متعلقة بموجب كونها أما لأولاده مثلا .

وقال هذا النص الذي نورده هنا بمثل محفظات النص السابق ، ونقرأ بعض عباراته بقراءتين محتملتين :

١ ـ «هذا هو القبر الذى شاده تيم إلهى (وقد يرادف اسمه إسم تيم الله إذا اعتبرت ياؤه الأخيرة إشباعا للكسرة في تشكيل اسم الإله كمضاف إليه) ، ابن

٢ ـ حاملة (أو حمالة) لنفسه . (وهو) يهب هذا القبر لأمة

٣ ـ أنثته (أي زوجته) . . بنت جلهم ، من حين أن سطر (أو من زمن عقد)

٤ ـ هذا الموهوب لها بيده لتصنع به كل ما تريد (أو : هذا السند الذي بيدها والذي يجعلها تعمل به كل ما تصبو إليه)

٥ ـ (ابتداء) من ٢٦ آب سنة ٢٥ لحارثة ملك النبط

٦ ـ محب شعبه» .

وكانت حرفية النص قد تتابعت في لغتها النبطية ولكنتها

الآرامية على النحو التالى :

١ ـ «دنه كفرا دى عبد تيم إلهى بر

٢ ـ حملت لنفشه ويهب كفرا دنه لأمه

٣ ـ أنثته برت جلهمو . . . من زمن شطر

٤ ـ موهبها دي بيده دي تعبد به كل دي تصبا

٥ ـ من ٢٦ بآب شنت ٢٥ لحرتت ملك نبطو

٦ ـ رحم عمه»[٢] .

٣ ـ من قبيل التعرف على أنواع التصرفات التي أتاحها هبة تيم الله ضمنا لزوجته ، يمكن الاستشهاد بما أتت به نصوص نبطية أخرى عن اتساع دائرة التعامل في المقابر . وكانت تتضمن البيع والشراء والرهن والإيجار فضلا على الهبة والتوريث ، وتراهى فيها حقوق الشفعة ، شأنها في ذلك شأن العقارات الدنيوية بطبيعة الحال . وقد يفوض أمر المقبرة إلى قيم عليها يبيع أو يمنع دفن الأقرباء وغير ذوي العصبة فيه ، وكتابة أسمائهم على واجباتها بإذن خاص . وإذا تعمد صاحب القبر أن يوقفه على ما خصص له من منافع ويخرجه عن دائرة مالم ينص عليه من الأغراض ، أردف ذلك في نصه بالتلويح بقوة العرف والشروط الجزائية ، والتهديد بانتقام المعبودات ، وحرمة عقيدة النبط ، حين المخالفة[٣] .

وعلى غرار ما حق للرجل أن يهب قبراً لأنثى إن شاء هبة مطلقة من كل قيد ، ويجعله ملكاً خاصاً لها ، سواء لمحبته إياها ، أو

ليمتنع على أي أحد التعرض لها بحرمانها منه أو مشاركتها فيه بعد وفاته ، كان من الأولى به أن يشيد لها قبراً خاصاً باسمها إن فقدها فجأة . وقد يشهر ذلك كتابة على واجهة القبر أو نصبه ، تعبيراً عن إعزازه لذكراها سواء أكانت أماً أم أختاً أم حليلة ، دون أي حرج من الإعلام باسمها .

٤ ـ وهكذا نقش على قبر ما يترجم عنه بالعبارات الآتية : «هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقيض بنت عبد مناة أمه التي هلكت في الحجر سنة ١٦٢ بشهر تموز (وفيها يوازي عام ٢٦٧ م) ، ولعن رب العالمين (؟) من يضر هذا القبر ومن يفتحه سوى ولدها (أو يمس أولاده) ، ولعن من يغير (شيئا) مما (كتب) عليه» . وكانت الأم فيما يبدو سيدة ثمودية توفيت بالحجر خلال زيارتها لها . وتعبيراً عن مكانتها الخاصة كتب سطر رأسي بالخط الثمودي تعامد على امتداد سطور النص النبطية الأفقية ، قائلا على لسانها «أنا لقيض بنت عبد مناة»[٣] .

٥ ـ وقد يشهر الرجل ويخلد اسم أمه واسم زوجته معا مع اسمه على واجهة القبر أو نصبه ، مثلما ورد في متن قبر «عمله عيد بن عبيد (عيدو بر عبيدو) لنفسه ، ولأولاده ، ولأمه أفتيّو (؟) بنت حبيب ، وزوجته نثيبة بنت شلاى (؟) . ولقب عيد بلقب هيبارخوس مما يعني أنه كان من كبار القوم ، وأرخ نصه بالعام ١١ من عهد مالك ملك النبط (حوالى عام ٤٩ م)[٤] .

٦ ـ وكثيرا ما كان للأخوات ذكرهن جهرا ، وذلك كما ورد في نص قبر «عمله أروس (؟) بن فروان لنفسه . . . ،وأبيه ، وزوجته . . . ،ولأختيه اللتين ذكرهما باسمي حطية وحـاملة ، وأولادهـا . . .» ، ولقب بـدوره بلقب هيبارخوس ، وأرخ نصه بالعام ٣٦ من عهد الملك حارثة الرابع (= ٢٧ م)[٥] .

٧ ـ وجرى على مجراه متن لقبر «عمله حُسَيْك بن حيد (حشيكو بن حيدو) ، لنفسه وولده . . . ، ومن أجل أختيه اللتين ذكرهما باسميهما : بنية وسلم بنتي حيد . وأرخ نصه بالعام ٤٠ من عهد حارثة الرابع (في عام ٣١ م)[٦] .

٨ ـ ومماثله متن آخر لقبر «عمله خلف بن قسناتان (؟) لنفسه ، وولده سعيد ، ومن يولد له ، وكذا لأخواته اللاتي ذكرهن بأسماء : منيعة (أو منوعة) ، وأمية ، وسليمة ، وربما أمية أيضا . وأرخ نصه بالعام نفسه[٧] .

٩ ـ وقد تشترك الأخت مع أخيها في عمل المقبرة أي في نفقاتها ، وبالتالي في ملكيتها ، كما دل على ذلك نص قبر «عمله منعة وهاجر ، ابنا عميرة بن وهب ، لنفسيهما ونسليهما» . في العام ١٦ من حكم حارثة الرابع (= ٧ م) . وأكد النص على حق الشفعة بين أبناء الأخوين بحيث تكون لأحدهم الأولوية دائما في شراء نصيب الآخر[٨] .

١٠ ـ وقد يخص الوالد اسم ابنته بالذكر في نصه ، إذا كانت وحيدته ، كما ورد في متن قبر «عمله عبد عبادة بن أرباس (؟) لنفسه ، ولوائلة ابنته ولأولادها وبناتها ونسلها معا . وكان ذلك في العام ٤٤ من حكم حارثة الرابع (أي عام ٣٥ م)»[١٠] .

١١ ـ واتبعت نصوص مهاجرى تيماء إلى حجر الأنباط الأسلوب نفسه ، كما يتضح من سياق نص لمقبرة ومتعلقاتها «التي عملها حوشب بن نفيو من بنى إيل كف من تيماء ، لنفسه ولأولاده ، ولأمه حبّو ، وأختيه وروفو (؟) وأفتيو (؟) . وذلك في العام ١٣ من حكم حارثة الرابع (أى عام ٤ م)»[١١] .

١٢ ـ وفى مواضع أخرى سجلت بعض نصوصها بالخط النبطي كذلك : قال نص في شمالى سيع «فى سنة ٣٠٨ (= ٥ - ٤ ق . م) ـ قصير تعجلات عمل هذا القبر له ولزوجته رحيلة على نفقته وحده (نفقة نفسه)»[١٢] .

١٣ ـ وقال غيره بالسويداء في حوران «هذا نصب (أو قبر) خمرت (خمرة) الذي بناه لها أذينة بعلها»[١٣] .

١٤ ـ وحين قلة الاستطاعة المادية لم يكن أقل من أن يقوم الابن بوضع حجر باسمه على حجارة الرجم الذي دفنت أمه تحته[١٤] .

١٥ ـ وقد يعبر أحدهم عن حنينه لمن افتقدهم من أهله فرداً فردا ، ثم يبدؤهم بأخته عمداً إذا كانت أثيرة لديه أو صاحبة فضل عليه ، كما يفهم من نص أسد بن ظن بن ثلم ، وقد تشوق إلى أخته وإلى ماتي وإلى أخيه وإلى عقرب وإلى تيم ، وختم نصه بدعائه : «فيا اللات وذا الشري سلما وتقبلا»[١٥] .

١٦ ـ وودع نص نبطى في أم عنب بصحراء مصر الشرقية سيدة بقوله : «سلاما ، روين بنت سعود (أو بنت مسعود)»[١٦] . ولم يعقب كاتبه بتعريف وضعها كزوجة أو صديقة ، حية أم ميتة .

١٧ ـ ومن أيسر صور الوفاء للحليلة أن أعلن المدعو مطير (أو مطي) الاستراتيجوس النبطى تشييد قبر لنفسه وأولاده وزوجته التي خصها وحدها بذكر اسمها وهو وائلو (أو وائلة) دون غيرها من الباقين ، ثم أشهر حرمة القبر بأن ليس لأحد أن يبيعه أو يرهنه أو يؤجره أبدا[١٧] .

* * *

١٨ ـ وما كان هناك من حرج في أن يشتهر القبر باسم صاحبته إذا خصص لها ، أو أقامته هي من حر مالها .

ـ وهكذا تطلع هنأ (أو هانى) ورفاقه المعماريون إلى الذكر الطيب في

أحد النصوص ، بعد قيامهم ببناء قبر أم كعب في مدائن صالح[١٩] . بل واحتفظت القصص الشعبية في المنطقة نفسها بتسمية أحد قبورها باسم قبر أو قصر البنت التي دعوها باسم بثينة ابنة الشيخ حدري ، وصاغوا حولها الأساطير .

ـ وأيدت بضعة نصوص نبطية أخرى قديمة ما توفر للأنثى (المقتدرة) من إرادة مالية ، وملكية خاصة سمحت لها بما كانت تسمح به للرجال من تحديد أسماء المنتفعين بمقبرتها ، وإباحة دفن الغير فيها إن شاءت على شريطة الحصول على إذن منها ، أو منعه ، واستعداء معبودات قومها على من يفسدون إرادتها ، والتهديد بتحميلهم غرامات مالية تراوحت بين المائة وبين ثلاثة الآلاف من العملات السلعية الذهبية التي كان من المفروض أن تؤدى إلى المعابد وإلى اسم الملك (في الخزانة أو في المعبد) . ولعل ذلك كان صدى في أغلب الظن لإرادة الأنثى وخصوصية ملكيتها لعقارات أخرى دنيوية . ومن الأمثلة على ذلك :

١٩ ـ نص يشير إلى قبر عملته كمكم بنت وائلة بنت حرم ، وابنتها كلية ، لنفسيهما وذريتيهما . ولا يخلو إشهار أسماء الأم والجدة والحفيدة جميعا ، إلى جانب اسم الأب هنا ، من مدلول . وكان ذلك في عام ٩ من حكم حارثة الرابع (العام الأول للميلاد)[٢٠] .

٢٠ ـ نص لمقبرة «عملتها هينة بنت وهب لنفسها وأولادها وذريتها

إلى أبد الآبدين» . وذلك في العام ٢١ من حكم مالك ملك النبط (عام ٥٩ م)[٢١] .

٢١ ـ نص آخر أثبت ملكية مقبرة لسيدة تدعى هينة أيضا بنت عبد عبادة ، ونسلها . . . ، ولأبيها ابن مليكة . . . ، » في العام الثاني من حكم رب إيل ملك النبط (حوالي عام ٧٣ م)[٢٢] .

٢٢ ـ ونص يماثله أثبت تبعية قبر للسيدة أمة بنت كمولة ، لنفسها وأولادها ونسلهم ، في العام الرابع من حكم الملك نفسه (أي عام ٧٥ م)[٢٣] .

٢٣ ـ وأخذت نصوص نساء مهاجري تيماء إلى حجر الأنباط بالمسلك ذاته ، ومنها نص لمقبرة عملتها وشوة (؟) بنت بجرة وقين . . . ، لنفسها و . . . ، وأخواتها من تيماء . وذلك في نحو العام ٣٣ من عهد حارثة الرابع (أي حوالي عام ٢٤ م)[٢٤] .

* * *

كبريات النساء والسياسة ، بين الأنباط

ارتفعت تقاليد الأنباط بمكانة بعض زوجات ملوكهم وأمهاتهم ، فصورت وجوههن مع وجه الملك على العملة أحيانا ، ولقبت كلا منهن بلقب ملكة النبط ، وبما يوحي باحتمال اشتراكهن في شؤون الحكم والسياسة إلى حد ما . وميزت منهن مالا يقل عن خمس ملكات .

٢٤ - ومن هذا القبيل أن صورت مع الملك عبادة الثانى (٣٠ - ٩ ق .م) زوجته . وصورت مع الملك حارثة الرابع (٩ ق . م - ٤٠ م) زوجته الثانية شقيلة (شاقويلات) ملكة النبط . وصورت مع الملك مالك الثانى (أو الثالث ؟) ، (٤٠ - ٧٠ م) زوجته (أو أخته ؟) شقيلة الثانية ملكة النبط ، ثم صورت الملكة نفسها كوصية على ولدها الملك رب إيل الثانى أو شريكة له فى الحكم (فيما بين ٧١/٧٠ - ٧٥ م) وقيل عنها شقيلة أمه ملكة نبطو ، حتى حلت محلها زوجته (أخته ؟) جميلة ملكة النبط بعد أن انفرد بالحكم (من ٧٥ - ١٠١ أو ١٠٦ م) . وربما ماثلتها في الأهمية والذكر (والزواج به ؟) أيضا الأختان هاجر وفصى إيل (؟) أو إحداهما[٢٧] .

٢٥ - وقد تحل محل صورة الملكة مع صورة الملك كتابة الحرف الأول من اسمها مع الحرف الأول من اسمه على العملة ،

بحيث يدل حرف الحاء عن حارثة وحرف الشين عن شقيلة . مثلا[٢٨] .

٢٦ - ولم يتحرج بعض سراة الأنباط من أن يكرسوا ويؤرخوا نصوص منشآت هامة أو نذور للمعابد باسم الملك وباسم الملكة معا ، مثلما كرست نصوص باسم الملك حارثة ملك النبط واسم خالدو ، ثم اسم شقيلة ملكة النبط ، وكذا باسم الملك رب إيل وأخواته (وزوجاته ؟) الملكات[٢٩] .

وبلغ الأمر أن رفعت منزلة بعض الملكات إلى مرتبة القداسة ، مثل الملكة خالدو الزوجة الأولى للملك حارثة الرابع والتي نسبت بعض أسماء الأناث إلى تبعيتها في مثل تهيمية «أمة خالدو»[٣٠] ، سواء لميزة خاصة فيها ، أم من قبيل الإسراف في تملق أصحاب الحظوة والسلطان .

وليس من المعروف إن كان الأنباط قد ابتدعوا هذا التقليد من عند أنفسهم أم اقتبسوه من غيرهم ، لا سيما وأن أغلب أمثلته التى سلف ذكرها تواردت بعد الميلاد ، أي بعد ازدياد صلات الأنباط بالبطالة والسليوكيين والرومان .

* * *

النساء في نصوص عربية شمالية أخرى

٢٧ ـ قال نص لرجل من أصحاب الخط المسند الصفوي في تكريم ذكرى الأخت إنه «حزن على أخته وبنى (لها) هذا القبر سنة أن نجا من غارة السلطان . . . (وحل) بلى آل عوذ»[٣١] .

٢٨ ـ وقال صفوى آخر إنه «وتر ، فتى أخ بن قدم ، وقد تشوق إلى أرض بنت أخته ، . . . » (وقريبين آخرين من جماعة بلقى ، داعيا لهم معبوداته بالسلام والقبول)[٣١] .

٢٩ ـ ووضح الوفاء للأخت أيضا على نصب نقش نصه بالخط المسند الثمودي ، وورد فيه أنه «نصب ابن عاصم من آل تيم ، وقد حزن على خلد أخته (أو : على قبر أخته) التي ماتت ترحا (حزنا) . واغتم (على ما) أرغمت (عليه) من ممات (حتف أنفها)»[٣٢] .

٣٠ ـ وإذا لم تسم الزوجة في سياق نص المقبرة نوه أحيانا بها كزوجة حرة مميزة عمن عداها من النساء . وهكذا ذكر نص عجل بن هنعم (الكندى ؟) من قرية الفاو ، أنه بنى قبرا لأخيه ولنفسه

ولولده وامرأته ، وأولادهم وولد ولدهم ولنسائهم الحرائر ، وجميع من آل غلوان . ثم أعاذ القبر ونساءهم بأربابه من كل سوء حتى لا تمطر السماء دما وتخرج الأرض سعيرا»[٣٣] .

٣١ ـ ولم يقتصر تسجيل أسماء النساء كتابة على الوفيات وحدها ، وإنما نوه بأسماء بعضهن فيما يمس أحوالهن الدنيوية أيضا ، ومن ذلك ما كتبه نص لحياني من أن أمت (أو أمة) حمد (أو حميد) بنت عاصم قد شفيت (أو نجت أو تمتعت)[٣٤] .

٣٢ ـ ونص آخر دعا بنصرة امرأة في محنتها بقوله «يا إلهي ساعد سعدة على دورة»[٣٥] .

٣٣ ـ ثم نص ثمودى دعا معبود قومه نهى من أجل أنثى بقوله «أيا نهى ، بك بنت سعدة (أو بنت السعدى)»[٣٦] .

وعلى أية حال ، فلا شك في أن ما ترتب للأنثى ، إلى جانب الذكر ، من حقوق مدنية في التملك وكافة التصرفات العينية وقبول الوصية وأمثالها بالنسبة للمقابر ، جرت أمثاله لها كذلك على الممتلكات العقارية الدنيوية من أراض ومزارع ومساكن ، في المجتمع النبطي وفي بعض المجتمعات العربية الأخرى المعاصرة له .

٣٤ ـ ورجح هذا القول نص لحياني (من واحة العلا بشمال الحجاز) أشهر ملكية مزرعة للثلاث الأخوات (لبة وخفشة وغرثة) ملكية توريث تنتقل منهن إلى أعقابهن[٣٨] .

٣٥ ـ وورد في نص من تيماء ما يفيد أن رجلا يدعى ذئب بن حجاج

اشترى بعيرا أسود من سيدة تدعى ذات هنّان . فنفق عنده ، فقضى حاكم تيماء المدعو كلم (أو كلاع بمعنى الشديد) بأن تعوضه المرأة بحمار[٣٠] . وربما كانت بهذا تمتهن التجارة ، أو على الأقل تمتلك بعض الدواب والأنعام .

٣٦ ـ وروت قصة صعصعة بن معاوية أنه قدم إلى عامر بن الغلوب يخطب ابنته وقال «إن أصدقها عقارا في كندة ، وأمنحها حاجات قومها لا ترد لأحد منهم حاجة» . ويشير الشطر الأول إلى صداق أو عطاء يخصص للفتاة ذاتها[٣١] .

ويسرت الاستطاعة المادية المستقلة لسُرَيات النساء أن أعلنت بعضهن من حين إلى آخر ما قدمنه من معطيات لذوات أنفسهن ولآلهن ، في مرات كانت نموذجا لغيرها في حياتهن وحياة أمثالهن .

٣٧ ـ وكان من هذا القبيل أن ذكرت افتتاحية نقش نصب لحيان أنه «نصب عبد سمين بن زيد خرج الذى أقامته سلمة بنت . . . »[٣٢] .

٣٨ ـ وأهدت سيدة لحيانية أخرى تدعى شملة بنت قاسم تمثالا (صنما) لمعبود قومها هانى كاتب ، وسجل إهداؤها باسمها من أجل رضاه وسعده[٣٣] .

٣٩ ـ وقدمت ثالثة تدعى أمة يثعان بنت داد لمعبود الموق اللحياني سلمان قربانا نذرته من أجل ابنتها قن بنت حثل ، وأمها ، عله يطيل عمرها (يعمرها) ويسعدها[٣٤] .

٤٠ ـ وفيما توفر لقلة من شهيرات النساء ذوات الأرومة العربية من

مكانة خاصة ، ميزت بعض الروايات العربية خمس ملكات من كندة ، على عهدتها ، وخصت منهن من أسمتها العمردة بنت الأعشى ، وأضافت أنها كانت أعظم تأثيرا من إخوتها في الناس ، وأعمق نفوذا ، لبلاغتها وذكائها وجمالها وبراعتها فى تدبير شؤون الحكم[٣٥] .

٤١ ـ ومن نصوص معبد الحضر التى يحتمل إرجاع عهدها إلى ما يدور حول ميلاد المسيح حتى القرن الثالث الميلادى ، نص أشار إلى تمثال أبوّ بنت دميون أقامه لها برمرين معبود المعبد ، أي أقامه رئيس كهنته لها بأمره أو على نفقة معبده ، تقديرا لعلو شأنها . ويبدو أنها كانت زوجة سنطروق الثانى ملك الحضر . ونقش النص على لوحة ربما وضعت تحت تمثال السيدة أو بجواره .

وكان ملوك الحضر يسمون فى نصوصهم أحيانا ملوك العرب ، كما كان كبير كهنة المعبد يلقب بسادن العرب[٣٦] .

* * *

٤٢ ـ وفى مجالات الحكم والسياسة بين الجماعات ذات الأصول العربية التي عاشت غير بعيد عن شمال شبه الجزيرة العربية ، يمكن الإشارة فى إيجاز إلى ملكة تدمر التى ذكرتها القصص العربية باسم الزباء ، وذكرتها الروايات الرومانية

باسم زنوبيا ، على حين اكتفت نصوص تدمر القديمة فى القرن الثالث الميلادى ، بتسميتها بت زبای (ربما بمعنى بنت العطية ، إن لم تعن مجرد نسبتها إلى اسم أبيها) ، وقد تمتعت بنفوذ واسع فى عهد زوجها أذينة (الثانى) ثم وليت الوصاية على ولدها وهب اللات وريث عرش تدمر منذ عام ٢٦٧ م . وظلت ذات تأثير كبير عليه وسيطرت على شؤون دولته . ولن نفصل فى أمرها هنا ، بناء على شيوع قصتها ، وارتباطها بتاريخ بادية الشام أكثر من ارتباطها بتاريخ شبه الجزيرة العربية بمدلوله الصريح . وحسبها التنويه بما نسب إليها من ثقافة واسعة وإلمام بلغات عدة وقراءات أو تسجيلات فى علم التاريخ ، والتاريخ المصرى بخاصة ، فضلا على تشجيعها لفلاسفة وأدباء من الإغريق والرومان على الالتحاق ببلاطها . وقد اتصفت فى الوقت ذاته بقوة الشكيمة والدهاء والتطلعات الكبيرة لتوسيع رقعة دولتها . ونعتتها نقوش بعض كبار أعوانها بالملكة الصديقة الفاضلة[١١] .

٤٣ - وإذا جاز الاستشهاد ببعض كريمات النساء من زوجات الأنبياء ممن لم يرد ذكرهن في نصوص شمال شبه الجزيرة وجب التنويه بذكر السيدة هاجر زوجة ابراهيم عليه السلام وأم اسماعيل الأب الروحى للعرب الشماليين . وقد روى فيما روى عن مضاء عزيمتها ونقاء إيمانها أنها سألت

ابراهيم عليه السلام حين تركها وولدها بواد غير ذي زرع عند المسجد الحرام بما معناه «أالله أمرك بهذا ؟ ، قال نعم . فقالت إذن لن يضيعنا» . وصبرت على الابتلاء وقاومت اليأس وذرعت الأرض بين الصفا والمروة وحول المسجد الحرام تنشد لولدها قطرة الماء ورحمة الله . ولما شب اسماعيل أبت هاجر وسوسة إبليس لها بأن تثنى ولدها عن الاستجابة لرؤيا أبيه بذبحه . وغدت من ثم مثالا للفداء والمثابرة والرضى بمشيئة الله ، يتذكر الحجيج قصتها حين يسعون بين الصفا والمروة سبعا مثلما سعت ، وربما كذلك عند رمي الجمرات الوسطى في منى .

٤٤ - ويمكن الاستشهاد كذلك بقصة صفورة بنت رعوئيل التي تزوجها موسى عليه السلام من أرض مدين العربية في شمال الحجاز ، فقد كان لقيامها وأختها برعى قطيع الأسرة وسقايته ، عوضا عن أبيهما الشيخ ، ما يدل على الرضى بمشاركة البنات في العمل لصالح الأسرة ، كما كان في تجرؤ واحدة منهما على اقتراح استخدام أبيها لموسى (المصرى كما وصفته التوراة) نظرا لبأسه وأمانته ، ثم تقبل الشيخ لهذه التزكية ، ما يعني كذلك ثقة الأب بسداد رأى البنت ، وهو أمر طبيعى ، أو هكذا ينبغي أن يكون ، (وقد روت التوراة أنه لم يكن له إلا سبع بنات بغير ولد ذكر) .

٤٥ - وأضافت إحدى الروايات احتمال تملك سيدة تدعى ماوية الغسانية لأعراب سيناء خلفا لزوجها في أواسط القرن الرابع

الميلادى . وقد نقضت حلفه مع الرومان ، واتسعت برجالها في فلسطين وسيطرت على مدينة بترا ، مما حمل الرومان على تجديد التعاهد معها - بشروط ملائمة لها[١٧] .

* * *

النساء في النصوص العربية الجنوبية

تعددت نماذج عطاء وقربان مماثلة لما تقدم ذكره ، من نساء كثيرات في نصوص الحضارات العربية الجنوبية .

٤٦ - ومن نماذجها ما احتفظ بذكره متن نقش على قاعدة تمثال برونزى فخم (بلغ ارتفاعه معها نحو ثلاثة أقدام) ، مثل السيدة برآت (أو برأة) من بيت رئدة (أو رئد إيل) من جماعة شحز القتبانية ، وقد عثر عليه في دار هدث لدى مدخل العاصمة تمنع . وأرخ بعهد الملك وراو إيل غيلان يهنعم بن شهر يجل يهرجب ، ملك قتبان ، والذي يحتمل توقيته بمنتصف القرن الأول قبل ميلاد المسيح . وخلد سياق المتن ذكرى صاحبته فيما نص عليه من أنها قدمت تمثالا أنثويا ذهبيا إلى معبوديها «ذات حميم وعثتر يجل» تقربا ووفاء ، وفقا لما أوعز إليها من أجل عافيتها وسلامة مكانتها ومقامها» . ويبدو أنها كانت من كبريات كاهنات المعبود «عم ربحو» ، ووكيلة «عم رب (ديمة)» ، ومن المعلنات للنبوءات المنسوبة إليه في معبده[١٨] .

٤٧ - وسجلت سيدة قتبانية أخرى في نصها ما يفيد أنها أب صدوق

عريم (أنثى من أسرة) وهب إيل ، من عشيرة حران وقبيلة خرآن ، وأنها خصصت نذرها لمعبودها أنباى شيمان (أي أنباى الحافظ) في معبد رصف الكبير ، وأوكلت إليه أن يصون تمثالها فيه من أي فرد يروم تبديل موضعه[٣٠] .

٤٨ ـ ومن وجهٍ آخر ورد في نص زوج قتباني إلى معبوده ما يعد بكل الإشهار لفضله من أجل زوجته[٣١] .

٤٩ ـ وأهدى آخر يدعى . . . دم بن مروح ربته عزّين (العزى) تمثالا ذهبيا أنثويا باسم ابنته (أو أخته ؟) ، التي انتسبت إليها في اسمها «أمة عزين» ، حين مرضت ، ملتمسا شفاءها[٣٢] .

٥٠ ـ واحتفظت بقايا بعض اللوحات والتماثيل الصغيرة التي عثر عليها في منطقة حايد بن عقيل جبانة تمنع عاصمة دولة قتبان ، بعشرات من أسماء إناث قدّمنها فرادي نذراً وتقربا لمعبودات المدينة ، وغالبا ما كانت الأنثى تنسب إلى عائلتها أو عشيرتها بلفظ «ذت» الذي قد يحل محل لفظ «آل» أو (من) جماعة . . . ، كأن يقال مثلا : صبحة آل سرفم ، ونبعة آل غربم ، ولبعم آل يدع ، ومكاهل آل رفيق ، وذيع آل أشيب ، ويدعم آل هنعمة ، وفرعة آل ذرحان ، وأبرضو آل ذرحان (ونسبت أنثيان أخريان إلى آل ذرحان أيضا) ، وعكبة آل عرجان . وقليلا ما نسبت الأنثى إلى اسم أبيها مثل ابنة بنت ذبثم ينل[٣٣] .

٥١ ـ ونصبت سيدة سبئية تدعى شوف ، من قبيلة لنها ، نفسها مدافعة عن أخيها ، وعندما أفلح مسعاها سجلت في نص بمعبد أوّام المعروف باسم محرم بلقيس ، أنها أهدت تمثالا ذهبيا للمعبود إلمقه شاكرة له أن هداها إلى أن تبلغ سيد حروان بمشكلة أخيها[٣٤] .

٥٢ ـ واشتركت سيدة سبئية ثانية تدعى صفنات الأبذلية مع زوجها سعد كرب في تقديم تمثال برونزي للمعبود إلمقه ثهوان رب أوّام ، عساه يرشدها إلى آية تطمئنها على أنها سوف يكسبان القضية القائمة بين الزوج وبين مولاه . ولم تنس صفنات أن تدعو معبودها أن يهبها ولدا كما بشرها بنبوءته[٣٥] .

وكان حب الإنجاب من دوافع إغداق الهدايا والنذور والقرابين من الأزواج والزوجات على المعابد القديمة بمعبوداتها[٣٦] ، أو على كهنتها بمعنى أصح .

٥٣ ـ ومن أمثلة ذلك أن قدمت سيدة سبئية تمثالا لمعبودها نذرته له ليهبها طفلا ، ويبقى حياة ولديها ، تعبيرا عن حب كثرة الأولاد .

٥٤ ـ وثمة دعاء في نص سبئي بأن تلد قال كهالى الهمدانية غلاما ثانيا عاصبا . وقد يعني هذا أن الولد الوحيد كان لا يكفي

لأن يكون عاصيا[٥٠] ، إلا إذا كانت الأم فقدته ، وطلبت العوض عنه .

٥٥ - وقدمت سبئية من صروح تدعى كربية وزوجها يصبح إلى ربتها أم عثتر (ربة الشمس) أربعة تماثيل ذهبية لأنها وهبتها أربعة أطفال ، ولدا وثلاث بنات كلهم أحياء يرزقون ، واسعدت قلبها بهم . وسألاها لنفسيها ولهم دوام الصحة والعافية ، كما سألاها المزيد من الأطفال الأصحاء[٥١] .

٥٦ - وقدمت سيدة سبئية أخرى تدعى حيوة قربانها لمعبودها إلمقه وهي ضارعة له فبشرها بغلام ، كما وعدها بأن يطيل حياة ابنتها «أخت إيل»[٥٢] ، مما يعني حب الوالدين للولد والبنت على سواء ، أو على وجه التقريب .

٥٧ - وأثبتت سبئية متميزة لنفسها مكانة خاصة في معابد قومها ولدى امير مدينتها ، حيث ذكرت في نصها أنها «أسيلم ذات البيتين (أي صاحبة البيتين أو المتمتعة إلى المعبدين) يفعان ويافع (ربما بمعنى المشرفة عليهما) ، ووصيفة (الحاكم) شارح بن همدان ، قد أهدت المعبود عثتر بعل بنا ، تمثالين (أو صنمين) من العشور التي تعشرها (من أجله أو باسمه) وفاء لمقامه وسعده (أو لوقاية مقامها وسعدها)[٥٣] .

٥٨ - وثمة نص مهشم تحتمل دلالته على أن نعمود ونعم جد وبنات نبال يهصبح . . . ، أوقفن أنصبتهن من أرض تبل (أو تبال ؟) ، ورصدنها من أجل معبودهن تالب ريام السبئي و (بقية) البعول . وهو مما يزكى حق الأنثى حينذاك في ملكية الأرض ووراثتها أو اقتسامها ، والتصرف فيها بالوقف والهبة[٥٤] . (وجعل الهمداني موضع تبال على طريق القوافل بين صنعاء وبين مكة ، وذكر أنه أقيم فيه تمثال لذي الخلص (أو ذي الخلصة) نقشت عليه هيئة التاج) .

٥٩ - وهناك تمثال صغير لهرة حفظ في شينللي كيوشك في اسطنبول ، يحتمل من سياق النص الذي نقش عليه أنه أهدى من قبل سيدة لربة الشمس في عقيدتها[٥٥] .

٦٠ - ما من نصوص قديمة تشهد بها للآن فيما أجلنا ذكره عن ملكة سبأ التي شهر القرآن الكريم والتوراة قصتها مع سليمان عليه السلام خلال القرن العاشر قبل الميلاد، وأبانا عما كان لها من عرش عظيم وما أوتيته من ثراء كبير، وما آثرته في حكمها من مشاورة كبار قومها في الأمور المصيرية، وحصافة تدبيرها للرد على سليمان عليه السلام، ثم انصياعها أخيرا لدعوة الحق حينما استبانت لها. ولم يعرف الاسم الشخصي لهذه الملكة بعد، وهو الذي تجاوز القرآن الكريم عن ذكره، ولم يعثر عليه في النصوص السبئية القديمة المكتشفة حتى الآن، وذلك خلافاً لما

دأبت عليه بعض الروايات العربية والعبرية والحبشية من تسميتها بأسماء بلقيس وبلمقة ومافدة، وكلها فيما يرى اللغويون المحدثون أسماء محرفة اسم إلمقه معبود دولة سبأ الأكبر، بل ويفترض بعضهم صلتها بكلمة عبرية تعني معنى الجارية أو المحظية أشاعها العبرانيون عنها للتقليل من شأنها[٣]. وعلى الضد من هذا أحسن إخباريو اليمن الظن بتسمية «يلقمه» وتسمية «بلقمه» بافتراض أنها بمعنى الزهرة في لغة حمير[٤].

٦١ ـ وثمة وضع معين آثارته نصوص عربية جنوبية قصيرة نقشت على سطوح نصب رباعي الأوجه عثر عليه في القرن الماضي في المحير قبالة المعبد الكبير لمدينة قرنا عاصمة دولة معين في الجنوب العربي. ونقل هاليفي بعضها واستكمل بقيتها جلاسر، ثم درسها ملاكر وچاكلين بيرن وچاك ريكمانس على التوالي.

وتضمنت كل حالة من هذه الحالات ما يعني أن شخصا معين الاسم ألزم ونذر، أو ألحق وخصص (سكرب وخسر) امرأة لمعبود المعبد منسوبة إلى موطنها الأصيل. ومن ذلك أن قال نص منها على سبيل الاستشهاد إن «حيّو بن أوس من عائلة حزمان من قبيلة نوار قدم أنثته مسكى الحرة من لحيان».

ونسبت السيدات متفرقات إلى نحو ٢٤ موضعا خارج دولة معين، توزع بعضها في مواطن عربية جنوبية وشمالية داخل شبه الجزيرة نفسها، في مثل مناطق أوسان وقتبان وحضرموت في الجنوب، ومناطق ددان ولحيان ويثرب وقيدار في الشمال. وتوزع بعض آخر منها في مدن وأقطار بعيدة عن شبه الجزيرة من أمثال مؤاب وعمون وغزة وصيدا ومصر، فضلا على احتمال بعض المواضع الإغريقية القليلة أيضا. وكان من أكثر المواضع ذكرا فيها غزة التي نسبت إليها ٢٧ سيدة، وددان التي نسبت إليها تسع سيدات، ومصر التي نسبت إليها ثمان سيدات، وقيدار التي انتسبت إليها ثلاث سيدات[٥].

واحتمل تعليل هذه النصوص تفسيرين: أقلهما احتمالا هو أن يكون الرجال المعينيون الواهبون قد أهدوا أو كرسوا من ذكروهن من النساء لصالح المعبد فعلا ليتنسكن فيه ويفي خدمة معبوده، ولكننا نرى أكثر احتمالا من ذلك أن يكون الأشخاص المعينيون هم من رجال القوافل التجارية الذين كثرت أسفارهم بالخارج، واقترنوا في فترات اغترابهم عن بلدهم بفتيات غير معينيات قرانا يمكن أن يشبه إلى حد ما بالزواج المدني الذي تأخذ به بعض الشعوب في العصر الحاضر (على الأقل من وجهة نظر المعينيين المتدينين)، ولكنهم حرصوا عند رجوعهم إلى وطنهم على أن يوثقوا زيجاتهم في معبدهم الرئيسي وفقا لشرائعهم وبما يستدر بركات معبودهم الأكبر، فأعلنوا أسماء زوجاتهم في رحابه أو في طاعته، وكان تقربهم بهن إليه تقربا معنويا أو اسميا أكثر منه ماديا أو فعليا. وقد يزكى هذا الغرض

الأخير وصف بعض المهدين للمرأة بأنها أنثته الحرة . وفي حدود ما يعرف حتى الآن من النصوص وتقاليد الزواج القديمة يصعب الإدلاء برأي فيما كان يترتب على هذا الإجراء الديني من حقوق للزوجة الأجنبية الوافدة مما لم يكن لها أن تتمتع به من قبل إبرامه . ويصعب كذلك تقدير ما خضعت له الزوجات المعينيات من إجراءات الزواج أو التوثيق في المعابد وما كان لهن من حقوق شرعية لدى أزواجهن .

ـ وعلى أية حال ، فقد كان للشعائر المعينية ما تميزت به في الحض على التزام التعاليم وتوقي المحرمات . ونمت عن ذلك بضعة نصوص للكفارة دارت حول الاعتراف بالذنب والاستغفار عنه . ومما يتصل بالنساء فيها :

٦٢ ـ نص أعلنت فيه أختيّة بنت ثوبان أنها أخطأت في (حق) بيت رب السماء (ذ سموى) ، واستغفرت لذنبها[٦٣] .

٦٣ ـ كما قدمت سيدة مرجلة للشعر نذرها ، وهو لوح برونزي ، لرب المعبد ، عربونا على توبتها من خطيئتها وطلبا لغفرانه[٦٥] .

٦٤ ـ وكشفت نصوص عطايا السيدات المتدينات في دولة قتبان عن تقليد آخر غامض المدلول بعض الشيء . وقد تناولته بضعة نصوص نقشت على خمسة تماثيل حجرية أنثوية صغيرة عثر

على بقاياها داخل أطلال بناء متسع ، قد يمثل دارا للعبادة ، أو ساحة للمحافل ، في مدينة تمنع عاصمة قتبان . ونقش كل نص منها باسم سيدة معينة نسبت إلى أسرتها ، وعائلتها أو عشيرتها ، وقيل عنها إنها كرست (سلأت) ، أو قدمت (قنيت أو سقنيت) قربانا عبر عنه بجملة «بنتى إيل في (عد) أمر» (أو بنت إيل في أمر)[٦٦] .

ـ وهكذا قيل عن إحداهن : « . . . ـه أبيثع بنت أبيدع معسر ، من بيت ذئب معاهر (ذئيم معهر) ، قدمت بنتى إيل في أمر»[٦٧] .

٦٥ ـ وقيل عن أخرى : «لبأ بنت إيل عم العهنعمتى ، من بيت ذئب اليجوري (ذئيم يجر) ، كرست بنتى ايل في أمر»[٦٨] .

٦٦ ـ وقيل عن ثالثة : «لحيم بنت كلب (كلبم) ، من أسرة عنس الكلبي (عنس (؟) كلبم) ، من بيت صادق أمين (صدق أمن) ، قدمت بنت إيل في (معبد) رصف»[٦٩] .

٦٧ ـ وقيل عن رابعة : «نعم من أسرة دانوم ، كرست بنتى إيل في أمر»[٧٠] .

٦٨ ـ وقيل عن الخامسة : «معاد (معد) من بيت إيلسعد

الهوفعمي ، ومن جماعة حضروم ، قدمت (أوسوف تقدم) في أمر»[٧١] .

ولا تزال دلالة تقديم «بنتى إيل» أي بنتى الإله ، موضعا للنظر (وقد ذكرت في صيغة التثنية في ثلاث حالات على أقل تقدير ، وفي صيغة الإفراد في حالة أو حالتين) . وخمن البرت جام أنها دلت في صيغة المثنى على تقديم السيدة الواهبة فتاتين من عندها إلى معبد ما مثل معبد رصف الكبير ، لضمهما إلى فرقة نسائية خاصة كرست فتياتها لخدمته بطريقة معينة . كما أشار إلى دلالة اسم «أمر» على الفال والنبوءة .

غير أننا نعتقد أنه ليس من مبرر لاعتبار «ابنتى إيل» فتاتين حقيقيتين من البشر في كل حالة من الحالات السالفة ، لا سيما وأن التماثيل التي سجلت الاهداءات المذكورة عليها تماثيل متواضعة لا تنم صناعتها ولا أحجامها عن أن صاحباتها الواهبات كن من ذوات الثراء العريض الذي يسمح لكل واحدة منهن بأن تهب المعبد فتاة أو فتاتين من جواريها لخدمته أو للتنسك في خدمة معبوده . والاقرب إلى الاحتمال فيما نرى أن تكون بنات إيل أو بنات الإله هذه أشكالا (أو أشياء) تقليدية متعارفا عليها ينتفع المعبد بها في إجراء طقوسه ، لا سيما في أداء أو في مقابل إصدار إمارة وحي أو استخارة تعني نتيجتها النساء بصورة ما . والطريف أنه ورد من معاني البنات في اللغة التماثيل الصغار تلعب بها الجواري . وفي حديث السيدة عائشة «كنت ألعب مع الجواري بالبنات» .

وليس من المستبعد أن تكون التماثيل ذات النصوص المذكورة آنفا هي المقصودة بتسمية «بنت إيل» . ولم يبق من رؤوسها للأسف شيء يمكن أن يحدد ما إذا كانت ملامحها قد دلت على هيئة صويحباتها الواهبات بالذات ، أم رمزت إلى كائنات أخرى مقدسة عندهن . وبقي من هيئة الذراعين في بعضها ما يدل على بسطها إلى الأمام من عند المرفق ، إشارة إلى تقديمها قربانا ما ، أو تقبله [illegible]

ومرة أخرى يصعب تقرير ما إذا كانت بنات إيل أيا ما كانت في هيئة التماثيل أم في هيئة أشكال تقليدية أخرى ، قد استخدمت في معابد النبوءة في قبتان فيما استخدمت له أزلام الجاهلية (من قداح وسهام وحصى) في الاستقسام أو الاقتراع بها لاستنتاج ما خبأه القدر من مسائل البشر . وهنا يمكن أن يكون لازدواج «بنتى إيل» ما يبرره ، بحيث تدل إحداهما على أمارة الإيجاب ، وتدل الأخرى على إشارة السلب ، في قرار النبوءة أو الاستخارة .

ويتبقى التساؤل أخيرا عما إذا كانت لتسمية «بنات إيل» هذه في قبتان صلة ما بتسمية الجاهليين للملائكة وكبريات معبوداتهم الإناث من أمثال مناة واللات والعزى ، باسم بنات الله ؟ وما زعموه لهن من صفات قدسية تجعلهن يعبرن عن مشيئة الإله ، كما قالوا ! .

* * *

ملكات عربيات في النصوص المسمارية

لم تكن ولاية كبريات النساء لبعض امور عدد من المجتمعات العربية القديمة شيئاً إذًا بين أهلها ، في ملابسات وعهود بعينها . ويقول آخر لم يكن هناك من حائل مفروض دائما دون أن تشارك المرأة في شؤون الحكم والقيام بنصيب من أعبائه ، إذا ما توافرت لها أهلية وشرعية ما ، وشجعتها مقومات شخصية مميزة . هذا وإن تكن النماذج الإيجابية على ذلك في الحق قليلة معدودة ، ولا تكاد تبرأ من جدل طويل . ومن أشهرها فيما عقبنا عليه آنفا في إيجاز ، امر ملكة سبأ (فقرة ٦٠) ، وأمر ملكة تدمر (فقرة ٤٢) ، وأمر بعض ملكات الأنباط (في فقرات ٢٤ - ٢٦) ، وإلى حد ما ذكر في فقرتي ٤٠ - ٤١ .

٦٩ - وتضاف إلى هذه الشخصيات ، خمس أو ست أو سبع ملكات ، لم تذكرهن نصوص عربية قديمة ، وإنما أوردت نصوص أشورية عراقية قديمة بعض أخبارهن عفوا ، في سياق افتخارها بانتصارات ملوك آشور على أقوامهن من العرب أو الأعراب ، فيما بين أواسط القرن الثامن وبين أواسط القرن السابع قبل الميلاد . وكان الأشوريون قد بلغوا حينذاك مبلغا كبيرا من القوة والتوسع ، وبسطوا نفوذهم على

غالبية بلاد الشام وتحكموا في طرق تجارة القوافل المؤدية بينها وبين العراق ، وفرضوا الجزي أو المكوس على القبائل المنتشرة حولها . ولكنهم واجهوا بعض المقاومة من قبل أقوام هذه الملكات اللائى ذكرتهن النصوص الأشورية بأسماء زبيبى ، وسمسى ، وبتيئة ، وتتلخونو ، وتربوا ، وآديا ، وربما بائيلو ، واسكاللانو (؟) أيضا . وذلك تصحيفاً وتحريفاً فيما يبدو لأسماء : زبيبة ، وشمس ، وبطيعة ، وتلهونة ، وتبؤة ، وعائدة ، . . ، أو نحوها ، على التوالى . ولم تحدد النصوص مقار حكمهن صراحة ، وإن كانت قد أتت في سياق بعض حديثها على ذكر أداوماتو أو أدوماتو ، أي دومة الجندل (أكثر منها إدوم) ، وبازو الصحراوية التي يحتمل أنها امتدت حولها في وادى السرحان بإقليم الجوف الشمالى من شبه الجزيرة العربية ، ولقبت كلا منها بلقب ملكة آرابيا بمعنى ملكة (المنطقة) العربية[٣٦] .

٧٠ - ذكرت نصوص تيجلات بيليسر الثالث ملك آشور زبيبة أولى هذه الملكات ، في سياق من أدوا الجزي إلى بلاطه في حوالي عام ٧٣٢ ق .م . وأتبعتها باسم شمس في مناسبتين . مناسبة أدت الجزية فيها إليه شأنها شأن سابقتها ، ومناسبة أخرى خلعت فيها ولاءها له ويمين ربه شمس ، وعاونت القبائل الآرامية الخارجة على طاعته ، وتركت رجالها يعتدون على قوافل التجارة الآشورية في البادية . وقد حاربتهم قوات

تيجلات بيليسر بعد أن خربت بيت عمري في إسرائيل القديمة ، وهاجمت غزة وسيطرت على طريق متاجر البخور المؤدى إليها ، ثم خربت منطقتين من أرض شمس ، فاستعصمت الملكة وقواتها في بازو بالصحراء حتى غلبتهم شدة القحط فأعلنوا الطاعة . وفرض الأشوريون عليهم جزية مضاعفة ، وعين ملكهم قيبا (قيبو) على دولة شمس يشرف على سياستها ويراقب تصرفاتها ويكتب له عن أمرها ، وادعوا أنهم قتلوا ١١٠٠ من رجال الملكة ، واستولوا على ٣٠ ألف بعير ، و ٣٠ ألف رأس من الأغنام أو الأنعام ، و ٥٠٠٠ مكيال (من البخور والتوابل ؟) ،و ١١ آنية فاخرة من مقتنيات معابد أربابها[٦٣] ، وإذا صحت هذه الأعداد من الأسرى والغنائم فعلاً لدلت على اتساع ثراء الملكة ودولتها . وإذا ما صح ربط تحركات قواتها بشخصها لدل ذلك بالتالي على توليها أمر قيادتها أو توجيهها .

ولم تقنع مصادر الملك الأشوري بتسجيل نصره على قوم شمس كتابة فحسب ، وإنما غالت مناظرها في تصويره أيضا بما يشبع كبرياءه . ومنها ما صور عددا من قتلى العرب ممددين على الثرى تحت سنابك الجياد الأشورية ، وما صور فارسين أشوريين يلاحقان بجواديهما محاربا عربيا يعدو مسرعا على هجينه ويلتفت إليهما في هلع بعد أن أصيب بعيره بسهم في جنبه كاد أن يرديه ، ثم أضافت تصوير سيدة بثوب كاس تسير دامعة وقد سترت وجهها بيدها حياء ، أو خجلا ويأسا ، وأمسكت بيدها الأخرى آنية كبيرة ، وسار في أعقابها عدد من النياق . ولا يبعد أن رمز المنظر بذلك إلى عجز شمس واضطرارها إلى العودة إلى رعى النوق ، أو انصياعها وشعبها لنفوذ الملك الأشوري الذي قال في نص عنها «ولما أدركت قوة بطشي أتت إلي بالإبل والنوق» .

وضمت نصوص الملك سرجون الأشوري «سمسى ملكة أرابيا» إلى ملك سبأ فيمن حملوا الجزى إليه من البادية والساحل ، متضمنة تبرا وأحجارا كريمة ، وأصنافا من البخور والعاج وبذور الأبنوس ، وخيولا وجمالا[٦٤] . ويعني ذلك امتداد حكم شمس لفترة طويلة من عهدى هذين الملكين الأشوريين ، واقتصر مدلول اسم سبأ الذي ذكر معها هنا على جالية سبئية أقامت في تيماء أو بقربها وعملت بالتجارة فيها باسم دولتها الجنوبية .

٧١ - وكانت لجيوش الملك سيناخريب الأشورى جولاتها العنيفة أيضا مع ملكات عربيات أخريات . ففى عام ٧٠٢ ق م . ذكر أحد النصوص أن الملكة العربية يتيئة (أو بطيعة) تنكرت للأشوريين ، وانضمت قواتها بقيادة أخيها بسقانو (أي الباشق ؟) إلى حلفاء مردوك أباليدان خصيم الأشوريين وزعيم الأراميين في جنوب العراق . ولكن الجيوش الأشورية هزمت جندها وأسرت أخاها .

٧٢ - وعاودت الملكة العربية تئلخونو (أو تلهونة) التي ميزتها

النصوص الأشورية بلقب كاهنة (كوميرتو) المعبودة دلبات (رصيفة المعبودة أتر سمين أو عتر سمين) ، سبيل المقاومة منذ عام ٦٨٩ ق . م ، وتحالفت مع خزائيل (أو حزائيل) ملك قيدرى المجاورة لبلدها (وقد تكون هي قيدار التي ذكرت الروايات العبرية أنها تألفت من عدة قبائل انتشرت فيما حول دومة الجندل ، واختلفت سبل معايشها ، فبقيت بعض جماعاتها بالبادية وعملت بالرعي وأقامت في خيام سود ، ولحق بعضها بالجبال ، بينما عاش بعضها الآخر في قرى متواضعة) . وعهدت إليه بقيادة جيشها المشترك ، ولكنه فشل في مسعاه ، ففرت الملكة إلى أداوماتو (دومة الجندل) إلى أن لحقت الجيوش الأشورية بها وضيقت الحصار عليها ، حتى أسرتها وأسرت ابنتها أو أميرة من أسرتها تدعى تاربوا (أو ثبوءا) أو تبؤة ، ونهبت تماثيل معبوداتها . وفتّ في عضد تلهونة أن اختلفت مع حلفائها حزائيل عقب هزيمته الأولى ، أو خلال حصار أداوماتو . وعبر نص أشوري عن هذا الخلاف بقوله «فغضبت تثلخونو على خزائيل ملك أربيى ففارقها» . وكان هذا في صالحه حيث خرج إلى قلب البادية ، وعز على الأشوريين أن يتعقبوه ، وإن كانوا قد دمروا بلده ونهبوا تماثيل معبوداته ، وقام مقامه ولده إيا إيلو في عام ٦٧٥ ق . م .(٣٥) .

٧٣ ـ وأعقبت النصوص الأشورية ذكر نصرها على قيدرى

بانتصارات أخرى على ثمانية ملوك صغار تباينت الآراء في تحديد مواضعهم ، وذكر الأشوريون منهم من يحتمل أن يدل على بائيلو ملكة أخيلو .

ـ واعتبر ادوارد جلاسر اسم بائيلو هذا تحريفا عن الاسم العربي باهلة . كما قرب اسم أخيلو إلى اسم ديار أخلة أو أجلة في واحة الخرج في قلب نجد . وبرر رأيه في الربط بين التسميتين بما روته مصادر متأخرة عن إقامة قبيلة باهلة التي يشبه اسمها اسم الملكة العربية القديمة ، في هذه الديار . ولو أن هذا التخريج لم يتعد مرحلة الفروض حتى الآن .

ـ وثمة احتمال بملكة أخرى ذكرتها النصوص الأشورية باسم اسكاللانو (؟) ملكة العربية .

٧٤ ـ وتبع مقاومة القبائل العربية ، ورغبة آشور في توفير أمن الطرق التجارية أن اتبع البلاط الأشوري في عهد الملك أشور أخادين سياسة المسالمة .

وهكذا تعهد الأميرة تبؤة بالتربية والرعاية حتى تشب وفية مخلصة لآشور ، وأعلنها ملكة على قومها وأعادها إلى بلدها مع تماثيل معبوداتها ، كما أهدى معبد عترسمين في دومة نجمة من الذهب الأحمر مطعمة بأحجار كريمة ، وإن فرض على دولتها في مقابل ذلك جزية إضافية تضمنت ٦٥ بعيرا وعشرة أمهار .

ونهج الأشوريون السياسة نفسها مع ملك قيدرى فأعادوه إلى حكم قومه ، وردوا عليه تماثيل معبوداته ، مما لا مجال للتفصيل فيه هنا في سياق الحديث عن الملكات ، إلا بأن المشكلات بين القيداريين وبين الأشوريين لم تتوقف ، لا سيما في فترات انشغال الأشوريين بحروبهم ضد البابليين والإلاميين (أو العيلاميين) ، وأن حكم قيدرى تنقل حينذاك بين عدة ملوك .

٧٥ ـ فقد ذكرت حوليات الملك أشور بانيبال أنه أسر ملكا لقيدرى يدعى أبو لادى (أو عمولاطى) هو والملكة آديا (أو عائدة ؟) التي يحتمل أنها كانت زوجة سلفه بطىء (يوبطع ؟) ملكة العربية ، ثم ذكرتها ثانية بلقب ملكة العربية ، وأضافت أن الجيش الأشورى أوقع بها هزيمة دموية وحرق خيامها[٧٦] .

وهكذا وعلى الرغم من إسراف النصوص الأشورية في تصوير نصر دولتها على العرب والأعراب ، إلا أنها كانت ذات فضل لا ينكر في الاحتفاظ بأسماء هاته الملكات العربيات اللائى لم يرد ذكرهن في المصادر العربية القديمة المعروفة حتى الآن ، سواء بمحض المصادفة وعلى أمل أن تؤدى الكشوف الأثرية في المستقبل إلى إظهارها ، أم نتيجة لعدم معرفة قومهن بالكتابة والنقش حتى ذلك الحين .

ولعل في وصف إحداهن على الأقل بأنها كاهنة (كومرتو)[٧٧] معبودتها دلبات ما يعني أن سيادتها هي ومثيلاتها قد ارتكزت على

تقاليد دينية أو قبلية قديمة أخذت بسلطة الأم Matriarchy ، وسمحت لهن بوراثة هذه الرئاسة واحدة بعد أخرى ، أو بنتا بعد أمها[٧٨] . ويفترض قلبى أن النصوص الأشورية لقبت هاته السيدات بألقاب الملكات تجاوزا ، وأنهن عشن مع أقوامهن في المنطقة التي تعلوا الخط الواصل بين العقبة وبين الكويت[٧٩] .

* * *

عودة إلى أوضاع النساء في العصر الجاهلي

لا شك في أن الاستشهادات السالف ذكرها عما كان لبعض نساء العرب من مكانة اجتماعية أو سياسية ، هي قلة معدودة نسبيا ، أو هي قلة من كثرة لم تكتشف نصوصها وآثارها حتى الآن . ولكن لا جدال في الوقت ذاته في دلالة تنوعها ونوعياتها على أوضاع طيبة لهن من واقع الحياة العامة والخاصة في عدد من المجتمعات العربية القديمة ، ونقول أوضاع بعض الإناث في عدد من المجتمعات العربية عمداً وتحفظا ، دون أن نتوقع شيوع أمثالها بالضرورة في كل العصور وفي كل الجماعات . ولكن وعلى الرغم من ذلك ، فهو واقع يتطلب إعادة النظر والتريث فيما رددته طائفة من المؤلفات ترديد الأمور المسلم بصحتها عن شدة هوان أمر الأنثى العربية بعامة فيما قبل ظهور الإسلام . ولا يعني هذا الدفع أو هذا التحفظ تجاهل الجوانب السيئة التي ثبت أن تعرضت لها حياة الإناث قبل الإسلام ، أو التماس أعذار مفتعلة من أجلها ، بقدر ما يعني وجوب قرن كل حالة هامة منها بما أحاط بها من ملابسات ومكان وزمان ما أمكن ، دون تعميم جزئياتها ، أو تأكيد أحكامها ، إلا فيما زكته القرائن والأدلة ، أو قررته آيات من القرآن الحكيم ، أو نص عليه حديث نبوي صريح ، بشأنها .

وهنا ينبغي تذكر تحفظات جوهرية نوهنا بها آنفا كذلك ، ومنها ما قدمنا به من أن الحياة العربية القديمة لم تخضع إطلاقا لوحدة سياسية أو تشريعية كاملة (لا سيما في نواحي البادية والتجمعات الصغيرة) ، وإنما أخذ أغلبها بالعرف والسوابق والاختيار القبلي والتصرف الفردي ، إلا فيما ندر ، وظلت المحلية والإقليمية غالبة فيها . وأن العصر الجاهلي الذي اعتمدت أغلب المؤلفات على مصادر أخباره لم يكن غير نهاية متضائلة إلى حد ما لماض مديد تعاقبت خلاله مستويات وتقلبات حضارية وثقافية متنوعة ، تفاوت بعضها عن بعض في قليل أو كثير من مقاييسه ، بناء على زمنه وموضعه وتبعاً لقيم مجتمعه الخاصة . وهو وضع يحول دون إطلاق الأحكام العامة على كل مراحل ذلك الماضي على سواء . أما ثالث التحفظات فهو ما يرجح من أن المجتمع الجاهلي نفسه ، وعلى الرغم من فساد عقائده . وبعض تقاليده ، لم يخل من وجود حنفاء متبعين ملة ابراهيم وتعاليم غيره من الرسل الآخرين ، وهؤلاء كانت لهم مسالكهم المعتدلة المقبولة ، وإن قلّت أعدادهم وأخبارهم . وربما كان منهم من نسبت الروايات العربية إليهم أنهم حرموا على أنفسهم بعض ما حرمه الإسلام فيما بعد من نكاح المحارم ، وعضل الأرامل ، والزواج بالميراث ، ووأد الأطفال ، بل وسمحوا بإرث الأنثى من أبيها وزوجها ، إرثا محددا بمقداره أحيانا[٣] .

وفي ضوء هذه الوقائع والتحفظات ، لا بأس من اعتبار الأوضاع الطيبة التي سلف تبيانها لبعض النساء في عدد من العصور

بعفتهن ، وكن موضع التقدير والإعزاز عندهم على أقل تقدير[٩٨] .

٨١ ـ وثمة بنات أوثرن بخالص الود ، كبنات الشاعر لبيد ، وبنات معن بن أوس[٩٩] . وكنى بأبوة أسمائهن أحيانا لمثل أبى أمامة النابغة الذبياني ، وأبي سلمى ربيعة بن رياح والد الشاعر زهير ، وجرت على مجراهم كنيات عدة منها : أبو ليلى ، وأبو الخنساء ، وأبو أمية ، وأبو أسماء ، وابو عزة ، وأبو سعاد ، وأبو جميلة ، وأبو نايلة ، وأبو باهلة ، وأبو آمنة ، وأبو عفراء ، وأبو سفانة ، وأبو ريطة ، وأبو لبابة ، وهلم جرا[١٠٠] .

ـ وكما أسلفنا آنفا ، قد لا تغيب سلامة القصد عن ما تعمدته بعض المؤلفات العربية من تضخيم سوءات العصور القديمة والجاهلية منها بخاصة إزاء النساء ، وذلك من أجل توكيد أفضلية أحكام الإسلام عليها ، وتزكية مآثر تشريعاته على ما سبقها ، وعلى معتنقيها رجالا ونساء . لولا أن مآثر الإسلام لم تكن بحاجة إلى إسراف أو افتعال ؟ .

٨٢ ـ وحسب الإسلام من عدالة أحكامه أنه حينما حرّم وأد الأطفال في قطاع من المجتمع الجاهلي ، قرنه بأقرب مسبباته من إقلال وإعمال وفكر شخصي خاطيء ، في بيئة أغلبها شحيح الموارد

كثير المجاعات متعدد الحروب ، والإناث فيه عبء على الرجال . وقرنه بطوائف معينة تفسرها مناسبات نزول الآيات فيها . وإذا كانت بعض هذه الآيات الشريفة قد نصت صراحة على قلة حيلة البنت بالذات بمثل قولها في سورة التكوير ٨ ـ ٩ (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) ، وقولها في سورة النحل آية ٥٨ ـ ٥٩ (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون) . وفي قوله جل شأنه في سورة الزخرف آية ١٨ (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) ؛ إلا أن آيات أخر من القرآن الكريم لم تشر إلى سابقة وأد البنات وحدهن دون غيرهن من الأبناء ، حيث يقول الله تعالى في سورة الأنعام ـ آية ١٥١ ـ (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) . وقوله تعالى ـ آية ـ ١٣٧ ـ (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) . وقوله سبحانه ـ آية ١٤٠ ـ (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) . وقوله جل شأنه في سورة الإسراء ـ آية ٣١ ـ (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا) . وشهد المجتمع الجاهلي من خيار رجاله من قاوموا وأد البنات وأنفقوا في منعه من حر أموالهم ، ومنهم فيما يقال صعصعة بن ناجية

أحد سادة تميم ، وزيد بن عمرو بن نفيل أحد سادة قريش[٩١] .

وبطبيعة الحال ما كان لقطاع ما من المجتمع أن يفتك بأولاده عامة وإلا هلك ، فإن دفع سوء التدبير بعض أهله إلى التضحية ببنته أو ابنه خشية الإعمال، أو لمرض لا برء منه ، أو نتيجة لعناء شخصي بعد تجربة مريرة مر بها صاحبه ، أو لتضحية بفلذة الكبد وفاءً لنذر لمعبوداته إن ابتداعاً منه أم اتباعا لغيره ، واجتمع ذلك مع من تفتك الحروب بهم منهم ، لخلا ذلك المجتمع من نسله وتضاءل شأنه ، وحرمت جماعاته مما كانت ترنو إليه من كثرة العدد وضخامة العشيرة ، فضلا على حب الزواج ببنات القبيلة وتفضيل النساء الولود منهن دائما . وقد كان من وفرة الإناث في المجتمع الجاهلي وفرة نسبية (في مقابل ما كانت الحروب تستهلكه من أعداد الذكور) ما سمح للرجال المقتدرين فيه بإشباع نهمهم إلى تعدد الزوجات[٩٢] .

من روابط الجاهلية بما قبلها :

٨٣ - دل على شيوع شعائر الإخصاب البشرى في الجاهلية وفيما قبلها ما عثر عليه الآثاريون من نماذج أعضاء التناسل المذكرة والمؤنثة أيضا في مناطق متفرقة من شبه الجزيرة العربية[٩٣] .

وذلك مما يعني الرغبة في استمرار الإنجاب والتكاثر ، وإن ظلت الأولوية المرغوب فيها للبنين أكثر من البنات .

٨٤ - وتميزت حالات نادرة ، كان منها ما قيل مثلا عن أب ثمودي من أنه وقف يرقب ابنته الصغيرة فرحا وهي تخط على الحجر[٩٤] . ثم ما روى من أشعار قليلة حبذت إنجاب البنات أو رضيت به[٩٥] ، إلى جانب ما سبق ذكره عن آباء خصوا بناتهم بالود ، وكنوا بأبوتهن .

٨٥ - وشاعت صيغ التأنيث في مسميات بعض القبائل والعشائر والبطون العربية القديمة ، مثل باهلة ، وثعلبة ، وعذرة ، وخندف ، وبجيلة ، وطهية ، وزهرة ، وطاعنة ، وقيلة ، والشقيقة ، وغيرها . ولم يتحرج رجالها في رد أنسابهم الأولى إليها . وقد تفسر هذه الظاهرة بسبق غلبة سلطة الأمومة في القبائل القديمة ، أو تفسر من وجه آخر بمجرد الرغبة في تمييز بعض البطون الأخوات عن بعض نتيجة لانحدارها من أمهات مختلفات وأب واحد . وذلك إلى جانب ما يلحظ من أن كثيرا من أسماء المواضع والجماعات غالبا ما يدل زنيتها على التأنيث اللفظي دون الدلالة على الأنوثة الفعلية بالضرورة .

٨٦ - وعلى أية حال ، فثمة أمهات عربيات استحققن أن ينتسب إليهن أولادهن الكبار علنا ، لسبب أو آخر ، مثل مزيد

شرف الأم وعراقة أصلها ، أو تمييزها عن غيرها من زيجات الأب . ولتكريم الأم المنجبة ، والتي كفلت أولادها وأحسنت تنشئتهم في عشيرتها بعد رجوعها إليها من عشيرة الأب ، سواء لوفاته أو للطلاق منه[٩٦] . وإلى جانب من سبق ذكرهن من أمهات جليلات كماء السماء أم المنذر ، وهند أم الحارث الغساني ، ومارية أم الحارث الأعرج . . . إلخ ، ألف محمد ابن حبيب رسالة في «ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء» وذكر منهم ٣٩ شاعرا ، كان منهم ٣٦ شاعرا جاهليا[٩٧] . وفي مقابل هذا نسب ناس البعض إلى أمهاتهم هجاء وتحقيرا .

٨٧ - وتشابهت المعتقدات العربية القديمة منذ نشأتها مع العقائد الوضعية الأخرى في تقديس العنصر الأنثوي في قوى الطبيعة ، جنبا إلى جنب مع عنصر الفحولة ، واعتبار أولهما عنصرا جوهريا وسطا في تكوين أسر ثلاثية من المعبودات ترمز إلى الزوج والزوجة والابن ، أو الأبوة والأمومة والبنوة . وطبق العرب القدماء هذا التصنيف على كبرى كواكب السماء الشمس والقمر والشعرى ، فتخيلوا فحولة الذكر في القمر ، وخصوبة الأنوثة في الشمس ، كما تمثلوا البنوة في نجم الشعرى الذي احتسبه عرب الشمال أنثى ، واحتسبه عرب الجنوب ذكرا . وربما قدم العرب أولوية القمر على الشمس تبعا لعظيم انتفاعهم بهديه في مسرى القوافل وفي الحل والترحال ، وفي التأريخ والتوقيت ، في مقابل ما لمسوه من

هجير الشمس ، وأثر حرارتها الصيفية العنيفة في معاناة الإنسان وجفاف النبات أحيانا (على الرغم من أمومتها) . وقد أطلق عرب الجنوب عليها ذات حميم ، فضلا على ألقاب كثيرة أخرى.

واختلف هذا الترتيب نوعا ما عما أخذت به شعوب الهلال الخصيب القديمة من تخيل عنصر الفحولة في الشمس وخصه بالسيادة الدينية بناء على عظيم أثره في حياتهم الزراعية .

وغني عن التعقيب ما كان من تقديس الجاهليين لمعبوداتهم اللات والعزى ومناة والشعري بخاصة وادعائهم أنهن والملائكة من بنات الله ، وأنهن الغرانيق العلى ، وأن شفاعتهن ترتجى .

* * *

ومع كل ما سبق تبيانه في شأن الإناث ، لم تسلّم المجتمعات العربية القديمة التي سبقت المجتمع الجاهلي بمكانة المرأة على سواء أو دون ضوابط ، ولم تذكرهن بالخير دائما . وقد تكرم المرأة في أسرتها ولا تكون كذلك فيما سواها .

٨٨ - ويمكن الاستشهاد بإيجاز هنا بمضمون بعض المخربشات أو النصوص القديمة المختصرة التي خطها بعض من عرفوا

الكتابة من أهل المدن ، والمرافقين للقوافل ، على سفوح التلال وجوانب الوديان التي كانوا يرحلون عندها . وكان منهم عشاق متحفظون اكتفوا بذكر عشقهم لمحبوباتهم ، وبقي من عفيفها نسبيا ما يستخدم ألفاظ وأسماء التحبب ويقول في إيجاز : هذا سعد محب عمة . هذا ملات محب زفي . هذا محب مثل . (هذا) لحزم وقد تشوق إلى عمة . أو يقول : حب لشملة . ود لمنعة . ود أروة . وندر أن صيغ تعبير التحبب على لسان أنثى ، مثل : دقرة عشقت وقلة (ربما على سبيل التندر وضرب المثل) . أما الإسفاف فله أمثلة أخرى كثيرة ، ناهيك بما تضمنته بعض أشعار عشاق الجاهلية من نماذج مسهبة للنوعين .

وكان مما اتهم به الملك حارثة الرابع النبطي شخصا دعته المصادر اللاتينية باسم Syllaeus أو Sullaeus (ربما تحريفا عن صالح أو سلى - وكان من كبار الأنباط ومستشارا للملك عبادة الثاني حتى دبر مؤامرة لقتله حوالي عام ٩ ق . م) أنه «أفسد زوجات (أو نساء) العرب» (وقد هرب إلى روما ولكنه أعدم فيها)[٩٠] . وعلى أية حال فثمة ما يضاف إلى ذلك :

٨٩ - فقد أجاز اللحيانيون من ناحية اشتغال النساء بكهانة المعابد ، وإمكان وراثة البنت لأمها في مهامها الدينية ككاهنة (أو أفكلة)[٩١] . وشابههم الأنباط حين أجازوا وجود

العازفات أو المنشدات في معابدهم[٩٢] . (وتراجع عنهن في دومة فقرة ٧٢ ، وفقرة ٧٥ ، وفي الجنوب فقرة ٤٦ ، وفقرة ٥٧ ، إلخ أعلاه) .

٩٠ - ولكن ثمة نص تحتمل إحدى قراءاته ما يعني أن المعبود اللحياني «بعل سمين حرم هذه الصخرة من أن ترتقيها امرأة لبغى هنأ الكاهنة»[٩٣] .

وليس من المعروف إن وقع تحريم ارتقاء هذه الصخرة على نساء القوم كافة ، أم اقتصر أمره عليهن في حالات الطمث والحيض والجنابة مثلا إلى أن يتطهرن . ولا يعرف كذلك إن كان هذا النص منع ارتقاء الإناث إلى حيث أقامت الكاهنة بغى هنأ بالذات ، أم أن ارتباطها به جاء عفوا لمجرد كتابة النص باسمها .

- وظلت شبهة النقص في كيان النساء راسخة في نفوس بعض الجاهليين ، ودفعتهم إلى مثل ما عابه القرآن الكريم عليهم من قوله في سورة النحل - آية ٥٧ - (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) ، وآية ٦٣ - (ويجعلون لله ما يكرهون) . وقوله في سورة الإسراء آية ٤٠ - (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما) . وفي سورة الصافات - آيات ١٤٩ - ١٥٤ (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون . ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله . وإنهم

لكاذبون . اصطفى البنات على البنين . ما لكم كيف تحكمون) ، صدق الله العظيم .

* * *

كنا نود في خواتيم هذا الفصل لو تيسر تحديد مراحل التطور ومدى التشابه أو التباين بين ما صارت إليه شؤون الإناث في الجاهلية وبين ما تتابعت عليه أمورهن ومسمياتهن في كل عصر من العصور السابقة عليها ، مع التعرف على تأثير دعوات ورسالات أنبياء العربية فيها بخاصة خلال أو بعد عهود ابراهيم واسماعيل وهود وشعيب وصالح عليهم السلام ؛ لولا شح النصوص العربية القديمة ، فيما خلا ما كشف عنه منها وما أمكن استخلاصه ضمناً منها حتى الآن .

٩١ - ومن القليل الذي يضاف هنا أنه إلى جانب ما توارثته الألفاظ العربية الشمالية من تعبيرات النصوص القديمة في مجال ذكر النساء وهو ما لا يتطلب التكرار ، أوردت النصوص العربية الجنوبية (والسبئية منها بخاصة) في سياقها ألفاظ : أنثة وأثة ، ومرأة ، للأنثى بعامة وللزوجة بخاصة . وحشكة (وأحشكة) ، بمعنى الزوجة أيضا ، وبما يصفها بصفة المساعدة ، أو المعينة ، أو القرينة ، وشعت (وشعتهو) ، بمعنى الزوجة كذلك . وأحصن ، ربما بمعنى المحصنة أو الحرم . - وورثة ، للسيدة الوارثة أو السيدة بحق الوراثة .

ووضعن بمعنى المرأة الواضع البرزة ، أي السافرة التي لا تتحجب . وعطف (أو عطوف) وهي المرأة ممن يشايع أو يرافق . وأمة بمعنى الأمة ، وبمعنى العابدة لمعبودها إذا ما الحقت باسمه ، . . إلخ

٩٢ - وفي سياق تلمس بعض الأواصر بين الحضارات العربية القديمة وبين ما تلاها ، يمكن التنويه كذلك بأنه على الرغم من أن كثيرا من أسماء الإناث التي وردت في النصوص العربية القديمة قد ندر استخدامها أو تغير جرسها ونطقها خارج شعوبها وأزمنتها ، تبعاً لاختلاف اللهجات ، والطوائف والعهود ، وبعض خصوصيات العقائد والتقاليد ؛ إلا أن عددا قليلا منها تشابهت مفرداته مع بعض مسميات النساء في مصادر العصر الجاهلي وما تلاه .

وهذه نسترجع منها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، مما سلفت الإشارة إليه من أسماء الإناث الميسرة غير المركبة ، أسماء : صبحة ، ونبعة ، وفرعة ، وصفنات ، وشوف ، وأسليم ، وخيوة ، وأخية ، ومعاد ، ولبأ ، ونعم ، بين نساء الجنوب . وأسماء : زبيبة ، وشمس ، وبطيعة ، وتبؤة ، وباهلة ، وعايدة ، بين ملكات الجوف الشمالي . وأسماء : أمة ، وأمية ، وسلم وسليمة ، وحاملة ، وشقيلة ، وجميلة ، وهاجر ، وكلية ، وسمية ، ولأمة ، ومارثة ، وخالصة ، وسكينة ، ومنعة ، ومنيعة ، وهينة ، ووائلة ، وحطيبة ،

ومليكة ، ونعيمة ، ووثيقة ، ووثيلة ، ووشيكة ، بين نساء الأنباط .
وأسماء : أروة ، وأوسة ، وبحنة ، وأم لية ، في النصوص الصفوية . كما تضمنت النصوص الثمودية من الأسماء المؤنثة ، أسماء خلد ، وسعدة (أو سعادة) ،ومشكة ،وسهرة ،ورقاسن(؟) ، وهانئة ، وليسن (أي الرقيقة) ، وست هشمد ، وست ذبن ، ربما بمعنى سيدة ثمود ، وسيدة اليمن ، واستخدمت اللحيانيات أسماء سلمة ، وسلمى ، وشملة ، وكثيرا غيرها[١٠١] .

* * *

مقارنات موجزة مع نساء مجتمعات قديمة أخرى

إذا كان الشيء بالشيء يذكر ، وكانت الأمور تقيم عادة بنظائرها أو بأضدادها ، فثمة ما يمكن أن يستشهد به في إيجاز ، وعلى سبيل المقارنة ، على ما تحقق من الحقوق المدنية للنساء في شعوب الشرق الزراعية القديمة الكبرى ، لا سيما في مصر والعراق . ويبدو أن إسهام المرأة إلى جانب الرجل بنصيب كبير في مجالات الإنتاج بالمجتمعات الزراعية القديمة ، وفي مراحلها الأولى بخاصة ، كان أظهر منه في غيرها . وهو واقع رتب للأنثى من الحقوق والالتزامات ما قد يزيد كمّا ونوعا عن نصيب أختها في المجتمعات القديمة الأخرى ، لا سيما وقد أسعدها الحظ بوفرة ما تحدثت به عنها المصادر المصرية والتشريعات العراقية التي جرى الكشف عن الكثير منها حتى الآن ، ومع وضع الفوارق الزمنية بين الواحدة منها وبين الأخرى موضع الاعتبار .

٩٣ ـ فقد توافرت للأنثى المصرية منذ القرن السابع والعشرين قبل ميلاد المسيح ، على أقل تقدير ، أهلية تملك ووراثة العقارات المنوعة من مزارع وبيوت وأراض ، وحق توريثها والإيصاء بها ، شأنها في ذلك شأن الرجال . وحق لها كزوجة أن تنفرد بذمة مالية منفصلة إن شاءت ، وأن تشرف أحيانا كشريكة

على ملكية بقية شركائها . وكانت لها حرية التعامل وحق التقاضي باسمها إلا إذا أنابت عنها فيها زوجها أو أباها أو أخاها أو ولدها الأكبر .

وتجنب المجتمع المصرى القديم زواج المحارم ، فيما خلا ما أحلته الأسر المالكة لنفسها (ودون غيرها) ، من إباحة الزواج بالأخت من الأب (أي غير الشقيقة) ، من أجل تقليل النزاع بين أبناء الضرائر على ولاية العرش ، وتجنب انفراد الأخت الكبرى وريثة العرش بالحكم (إلا فيما ندر) . وربما انتفع سيدنا ابراهيم عليه السلام بهذا الوضع فوصف زوجته سارة في مصر ، بأنها أخته من أبيه ، وإن وصفها بالوصف نفسه أمام ملك جرار في جنوب الشام (على الأقل حسبما روت التوراة ـ بسفر التكوين ١٢ : ١١ ـ ٢٠ ، ٢٠ : ١ ـ ٦) .

وتضمنت بعض أسانيد وعقود الزواج المصرية القديمة ما ينص على مهر مسمى يؤدى عاجلا أو آجلا للزوجة ، وما يحدد حقوق وواجبات كل من الزوجين تجاه الآخر (وحقوق الزوجة بخاصة) . وغالبا ما كان الطلاق يقع بإرادة الزوج وحده ، أو باتفاق الزوجين معا ، وكثيرا ما كان يقدر للمطلقة حين الفراق نصيب من الأملاك المشتركة مع الزوج ، أو نصيب من أملاكه الفردية ، فضلا على أمتعتها وأملاكها الخاصة . وكانت تركة الأبوين تؤول إلى الأبناء والبنات معا ، فإن لم يكن للمورث أولاد آلت تركته إلى كل من الإخوة والأخوات .

ولم ينكر المجتمع المصري القديم على الأنثى المميزة دورها في بعض شؤونه طالما تهيأت لها الأسباب فأخذت من المعرفة والخبرة بنصيب ، وتمتعت بقوة الشخصية وسعة الأفق . ودلت وثائق فردية على أن من المصريات من تعلمن الكتابة والقراءة وتذوقن الأدب ، وتراسلن به . وتجرأت بعض نساء الأسر المالكة على اعتلاء العرش أو الوصاية عليه (ومنهن الملكات : نيت إقرق ، وسوبك نفروورع ، وحاتشبسوت ، وتاوسرة ، فضلا على كليوباترة) .

وأثرت بعضهن في مجريات السياسة والحكم مع أزواجهن أو أبنائهن تأثيرا واضحا (ومنهن : خنت كاوس ، وتتى شرى ، وأحس نفرتارى ، وتى ، ونفرتيتى) . ولم تكن تجارب هاته النسوة في الحكم والسياسة ناجحة دائما ، ولكن حَسْب تجاربهن ما دلت عليه من أن الأنثى المميزة لم تكن تحجم عن التقدم إلى الرياسة لو تهيأت لها شرعيتها ودفعتها الظروف وشجعتها عليها ، وأن المجتمع لم يستنكر نشاطها فيما أظهرت الكفاية فيه . وساهمت نساء من الأسر الثرية والوسطى فيما ناسبهن من مجالات الحياة العامة ، وفي الإشراف على بعض ما يتبع الزوج من أعمال ومهام . وشاركن كذلك في كهانة المعابد والعبادة بنصيب كبير[٩٥] .

* * *

٩٤ ـ وانصرفت وراثة وولاية الأملاك العقارية فى المجتمع العراقى

القديم إلى صالح الذكور أساسا ، مع تعويض الإناث بحصص من منقولات الأبوين وهبة (أو بائنة) محررة للزواج . وإذا ما توفي الوالد دون أن يزوج ابنته بهبة مخصصة لها (شرقتم في البابلية) أفرد لها إخوتها هبة زواج مناسبة من ميراثه قبل أن يقتسموه . فإذا ما خص الأب ابنته بسند هبة أو وصية صريح يتضمن أملاكا ، اشترط أن يستعملها أخوتها باسمها وصالحها بعد وفاته ، على أن تعود إليهم ملكيتها إن لم يكن لها أبناء يرثونها . وإذا عملت الأنثى كاهنة ، كرمت وقومت حصتها في ميراث أبيها بما يعادل ثلث نصيب أخيها الذي يتولى إدارة حصتها باسمها ويحبس ريعها عليها . فإن قصر في إدارتها عهدت بها إلى وكيل آخر ولكن دون نقلها إلى شخص غريب عن أسرتها بأي صورة من صور الرهن أو البيع أو التنازل . وإذا زادت الأنثى المتدينة فعملت كاهنة في معبد مردوك المعبود الأكبر للدولة (في بابل) بخاصة، جاز لها أن تدير حصتها بنفسها ، أو تهبها لمن تشاء ، على شريطة ألا تتضمن حقوقا إقطاعية (حكومية) يمكن أن تنتقل إلى أسرة غير أسرتها . وقد يتبنى الرجل زوج ابنته الوحيدة ليصبح وريثه الشرعي ، وبذلك يحفظ لها حق الانتفاع بممتلكاته عن طريقه ؛ وهنا يشترط الأب عليه في وثيقة التبنى أن يحرم من هذا التبني ومن الإرث إذا طلقها ، فضلا على تحميله غرامة كبيرة . وأجاز المجتمع العراقى القديم للمرأة تصرفات التجارة ، من بيع وشراء وإيجار ، وما قد يترتب على هذا من

مداينة وادعاء وتقاض وشهادة على العقود . ولكنه أجاز في بعض عهوده أن تكون الزوجة متضامنة مع زوجها في ديونه وأخطائه ، وأن تكون ثروة أحدهما ثروة الآخر ، مما أباح رهن الزوجة ورهن الابنة (أو رهن جهودهما) ضمانا لديون الأب أو الزوج ، ما لم تشترط الزوجة في عقد زواجها ألا تخضع لمثل هذا الإجراء ، وقد أخذت بمثله فيما بعد بعض الشرائع الرومانية القديمة . (وتراجع كذلك فقرة ٩٥) .

وأباحت التشريعات العراقية للزوج حق الوصية أو الهبة لزوجته ، كما كان لها أن تتنازل عن جزء منها لأولادها ، وأن تتولى الوصاية على القصر منهم بعد وفاة أبيهم إذا ما انعدم وجود ولد رشيد .

وسمحت التشريعات للزوجة الأولى ذات الأولاد ببيت الزوجية ونفقاته إذا ما فارقها زوجها وبنى بأخرى ، دون أن يأخذ عليها تقصيرا أو نشوزا . فإن كانت عاقرا لا تجبر على قبول سكنى الزوجة الجديدة معها . وأذن للزوجة بعقاب جاريتها التي اكتسبت حب زوجها ، إذا ما تطاولت عليها وساوت نفسها بها ، بعقاب بدني أو بإعادة استرقاقها إن كانت قد أنجبت منه ، وبيعها إن لم تنجب .

وفرقت التشريعات بين أنصبة الزوجة المطيعة والزوجة

الناشز ، وبين من تزوجت بكرا ، ومن تزوجت ثيبا ، وبين العاقر وبين ذات الأبناء ، في تعويضات الطلاق . وخصت الأخيرة منهن بنصف أملاك زوجها لتستغله في تربية أولادها الصغار حتى البلوغ ، وحينئذ يكون لها أن تجتزىء لنفسها نصيبا منه لتستعين به على زواج جديد إن استحبت فراقهم .

وفي مقابل حقوق الزوجة ، ألزمتها التشريعات بمسئولياتها ، ففرضت عقوبات رادعة على الناشز والسارقة والساحرة أو الغاوية ، والمتآمرة والزانية . وإذا ما برئت المرأة من تهمة خلقية اتهمت بها عوقب من ادعى عليها بها ماديا ، أو بحلق نصف شعر رأسه ، أو بجلده . فإذا اتهمها زوجها بالزنى دون بينة واضحة عليها كفاها أن تقسم على طهارتها أمام تمثال معبودها وتعود إلى داره . وفرضت التشريعات عقوبات قاسية أخرى على العلاقات الشاذة مع المحارم ، أي مع الأم والابنة وزوجة الابن وامرأة الأب ذات الأولاد ، مما يعني ضمنا احتمال اقترافها أحيانا ، على الرغم من استنكار المجتمع لها[١٠٦] .

* * *

٩٥ ـ وفي مقابل هذه وتلك في مصر والعراق ، ترتب على النشأة القبلية البدوية لقدماء العبرانيين أن شاعت بينهم معايير اجتماعية تشابهت إلى حد كبير مع التقاليد الأسرية للمجتمع الجاهلي في شبه الجزيرة العربية ، واستمرت معهم عهودا طويلة . فقد ارتضى العبرانيون الأوائل إطلاق تعدد الزوجات ، والزواج بالأخت من الأب ، والجمع بين الأختين ، والتزوج ببنت الأخ وبنت الأخت ، وإباحة التسري بأنواعه ، تبعا للمقدرة أو ابتغاء وفرة النسل . وأباح بعض الآباء تأجير أبنائهم لأجل مسمى ، وبيع بعض بناتهم للرق ، ووأدهن أحيانا . واعتادوا على حرمان الأنثى من ميراث الأب والزوج إلا إذا انعدم الولد . وخضعت المرأة بينهم لاحتمالات السبي والاسترقاق والاستبضاع . فإذا توفي بعلها دون عقب تعين عليها الزواج بأخيه ، فإذا أنجب منها ولدا جاز له أن يلحقه بأخيه المتوفى . وقد يرث وارث زوجها أمر نكاحها ويحق له أن يعضلها ، كما لو كانت جزءا من متاع التركة . وكان الطلاق من حق الزوج وحده . ولم يكن لنذر المرأة أو قسمها مفعول ما لم يدعمه زوجها .

ومع توالي الزمن ، وتعاقب الشرائع ، وتطور الحضارة ، تبدلت بعض هذه الأوضاع نوعا ما . فاستنكرت شريعة موسى الجمع بين الأختين ، وحدت حق الأب في بيع أبنائه ذكورا وإناثا ، وحرم سفر الخروج (٢٢ : ٩) وسفر اللاويين (٤٨ : ٢١ ، ٢٠ : ٢) التضحية بالأبناء ، وإن استمسك بعض الآباء بحق الإحياء والإماتة على أبنائهم . وأمر التلمود بالقصد في تعدد الزوجات ، وحدده بأربع تشبها

بما فعله يعقوب ، وأوصى بالعدل بينهن . وفرض سفر التثنية قيودا على الطلاق ، واشترط أن يعطي الرجل مطلقته وثيقة بطلاقها يحق لها بعده أن تقترن بغيره ، ولكن لا يحل لها عودتها إليه لو مات عنها زوجها الثاني أو سرحها . ثم أباح القراءون، فيما بعد، للمرأة أن تطلب الطلاق ، ولكن لم يكن طلبها للطلاق ملزما بوقوعه . وشدد سفر اللاويين العقوبة على زواج المحارم . ومنع السامريون والقراءون زواج الرجل بابنة الأخ وابنة الأخت وابنة امرأة الأب ، على حين أبقت عليه طوائف يهودية أخرى . وسمح سفر العدد (الإصحاح ٢٧) للبنت بأن ترث أباها إذا لم يكن له أبناء ولكنه إذا أنجب ذكرا حجبها ، وخرجت عن ميراثه .

وإذا ورثت البنت وجب أن تكون لواحد من أقارب أبيها وعشيرته «لكي يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه فلا يتحول نصيب من سبط إلى آخر . . . » (الإصحاح ٣٦) ، وبذلك ينتقل ميراث المرأة إلى تصرف زوجها الجديد وكأنها لم تحصل عليه كحق شرعي محرر لها[١٠٣] وعلى الرغم من هذه الأوضاع ظهرت بين شهيرات بني إسرائيل متنبئات وقاضيات ذوات كفاية (القضاة ٤ : ٤ - ٩) .

* * *

- أفصحت المقارنات الموجزة السالفة ، والعبرية منها بخاصة ، عن أن كثيرا مما أخذ على بعض الأعراف العربية الجاهلية في شأن الأسرة والنساء قد وجدت له أشباه متفرقة أجازتها أوضاع حضارية وزمنية مماثلة لها على أطراف شبه الجزيرة العربية وخارجها وفي نطاق الشرق القديم ، فضلا على مجتمعات قديمة أخرى أسيوية وأوروبية تجاوزنا عن الاستشهاد بتقاليدها .

٩٦ - وقد أباحت بعض هذه وتلك الزوجات واتخاذ الجواري والسراري، ولم تبرأ من التضحية بالبنت إن عزف الأب عنها لسبب أو آخر، أو الجمع بين الأختين، وإمكان الزواج بامرأة الأب. وتعرضت الأنثى في بعض تلكم المجتمعات للاستبضاع والسبي والاسترقاق أحيانا. وضمرت أهليتها المدنية وحقوقها المالية، فخرجت من الميراث المقنن، وهضمت كرامة الأيامى واليتامى من النساء[١٠٥]، ولو في بعض الطوائف على أقل تقدير .

٩٧ - ولكن وفي مقابل هذه المثالب ، قامت شواهد أخرى مميزة اقتربت بحقوق المرأة العربية المدنية والمالية مما تمتعت به الأنثى في حضارات الشرق المستقرة . ودلت هذه الشواهد على أنه كان من الإناث العربيات من تستشار في قبول الزواج ، وقد

ترفضه ولا تجبر عليه ، بل وقد تختار زوجها أو تزوج نفسها[١٠٩] . وتستبقى العصمة في يدها ، وتخول حق الطلاق والمطالبة بالتطليق والأختلاع[١١٠] .

٩٨ ـ ولم يتزوج العربي القديم بأخته (إلا بالنسبة لملوك الأنباط) ، أو بابنته ، واستنكر نكاح العمات والخالات وبنات الأخ والأخت ، لو حدث[١١١] .

٩٩ ـ وشهدت حالات أخرى بتعويض الأنثى بقسط ما من ثروة الأب والزوج وهباته ، وتخصيص نصيب مقدر أو غير مقدر لها من ميراثها[١١٢] ، وذلك إلى جانب ما سلف بيانه آنفا من شواهد فردية لإناث مميزات المكانة والثراء والتأثير والكفاية والسلطان ، سواء في الجماعات نصف البدوية أو في المجتمعات المستقرة .

ويعني كل هذا اتساع الحياة العربية القديمة لأنماط شتى من شؤون النساء ، اختلفت فيما بينها باختلاف الطوائف والأزمنة والأمكنة والملابسات ، وظلت كذلك حتى شرع الاسلام لها ما أصلح به أمورها ووحد معاملاتها وحدد به مقدرات كل فرد فيها من ذكر وأنثى بمقياس تعادل مع ما له من القدرات والواجبات ، وعم أثره بعدها شؤون النساء في بقية الشعوب التي دانت بالإسلام كافة . وكان بعضها (لا سيما ما تناولنا أمره مثل مصر والعراق والشام) ، قد تخطى التقاليد والعقائد الوضعية التي شهد المجتمع الجاهلي أمثالها ، إلى الأخذ بما سنته التشريعات السماوية أو التوحيدية القديمة الأخرى ، والمسيحية منها بخاصة .

* * *

الإناث في التماثيل والمناظر العربية القديمة

تمهيد :

١٠٠ ـ كشفت المصادفات والبحوث الأثرية في بعض مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية ، عن أعداد من المناظر والتماثيل الأثرية القديمة ، اختلفت أحجامها وموادها ومستويات اتقانها ، تبعاً لتنوع أغراضها ، وعهودها ، وثراء أصحابها ، وكفاية فنانيها . وكان من تماثيل الرجال والنساء ما يوضع في المقابر إعزازاً وتذكاراً لأصحابه ، وداخل مشكاوات صغيرة تتناسب أحجامها في أعلى الشواهد الحجرية التي تقام فيها ، حتى لتبدو وكأنها تطل برؤوسها من عالم الفناء على دنيا الأحياء (بغير إيمان لازم بالحياة الأخرى) . وكان منها ما يوضع في رحاب المعابد ، تخليداً لذكرى أصحابه ، أو يقدم نذراً إلى معبوداتها ، وربما كان منها كذلك ما احتفظت به بيوت الأثرياء في حياة ذويها أو بعد مماتهم .

وترجع الأشكال البدائية الى ما يسبق الألف الأول ق . م بفترات ، أما تماثيل ومناظر العصور التاريخية فتعود الى ما بين القرن ٦ ق . م وبين القرن ٦ م ، وتؤرخ أهم نماذج بما حول ميلاد المسيح .

ومثلت النساء في هذه وتلك واقفات وجالسات ، يتعبدن ـ أحياناً برفع الكف اليمنى للتحية مع ثني الكوع ، أو بسط اليدين إلى الأمام أو إلى الجانبين . وقد تمسك الأنثى بيدها مبخرة أو قرباناً ما تضمه إلى صدرها ، أو تحمل كأساً بيد ، وقرباناً باليد الأخرى ، هدية منها إلى معبوداتها ، وما إلى ذلك من أوضاع دينية أو دنيوية .

وإلى جانب التماثيل الكاملة ، قد يكتفى في تمثيل الأنثى بالرأس والجذع الأعلى ، أو الرأس وجزء من الصدر ، أو الرأس وحدها . وقد تمثل السيدة جالسة تضم وليدها إلى صدرها . ووجدت تماثيل أخرى استهدفت أغراضاً دنيوية دون التعبد ، لنسوة منعمات ، وجوار وراقصات . واستعانت بامتلاء الصدر والوجه وثنيات البدن في التعبير عن نضج الأنوثة وإغراءاتها .

نحتت أغلب هذه التماثيل الأنثوية من الحجر الجيري ومن الألباستر ، كما شكلت من النحاس ومن البرونز ، وكثيراً ما اكتفت أساليبها المحلية بالملامح الرئيسية للوجه والخطوط العامة للجسم ، بغير تفصيل كبير في هذه أو تلك . ومالت هيئاتها إلى الامتلاء ، وظهرت تجاويف العيون فيها غائرة أحياناً مما يعني احتمال تطعيمها بمواد كانت تكسبها شيئاً من الحيوية ، قبل سقوطها . وكانت الملابس في معظمها كاسية مزخرفة . وقد يزين العنق بعقد أو قلادة ، وتزين المعاصم ودمالج الذراعين بالأساور ، وقليلاً ما مثلت الأقراط والخلاخيل . وقد يرسل الشعر خلف الرأس وعلى جانبيها حتى

الكتفين ، أو يجدل في ضفائر ، أو يجمع تحت غطاء أو عصابة أو إكليل مناسب .

وإلى جانب التماثيل الشخصية ، صنعت أعداد أخرى من تماثيل صغيرة من حجر ومن صلصال ، تبدو فيها العمومية ، وترمز إلى جنس الأنثى دون تخصيص ، وتضخم فيها مظاهر الأمومة ، ويستخدم بعضها كتمائم أو دمى أو نذور .

وتطورت صناعة التماثيل المعدنية في الحضارات العربية الجنوبية القريبة من ميلاد المسيح والمتأخرة في الزمن نوعاً ، واستفادت من هيئات التماثيل المصرية ، ومن الأساليب الهيلينستية والرومانية التي وصلت الجنوب العربي عن طريق أقطار الهلال الخصيب ومن مصر والشام بخاصة ، فضلاً على ما حملته معها التجارة الإغريقية والرومانية في معاملاتها المباشرة من وإلى البلاد العربية ، وما أتت به الصلات والمتاجر المتبادلة مع العراق والهند وفارس[١١٣] .

نماذج فنية مختارة

يتخير المبحث التالي عدداً من أشكال وأوضاع وأزياء النساء في المناظر والتماثيل التي عثر عليها في بعض أرجاء شبه الجزيرة العربية والخليج ، وإن انتمى معظمها حتى الآن إلى مناطق الجنوب العربي نتيجة لسبق ما أجرى فيها من كشوف أثرية . وسوف ترتب نماذجها المختارة هنا ترتيباً موضوعياً وفقاً لمدى الأهمية ، أكثر منه ترتيباً زمنياً .

١٠١ ـ من أكبر ما يستشهد به من هذه وتلك تمثال برونزي ذو وضع وقور للسيدة برأة أو برآت التي سلفت الإشارة إليها (في الفقرة ٤٦) ككاهنة للتنبؤات في معبد عم ، وقد عثر عليه في أطلال أسميت دار هدث بمدينة تمنع عاصمة دولة قتبان القديمة ، وحفظ في متحف عدن . وبلغ ارتفاع التمثال وقاعدته نحو ثلاثة أقدام ، ولا يكاد يخلو من تأثير هيلينستي ، ويحتمل تأريخه بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد . ومثل صاحبته تجلس على مقعد فوق مسطح حجري مستطيل ، ممتلئة الجسم مستديرة الوجه ناهضة الثديين ، ذات شعر ذي خصل مصفف في استدارة تزينه عصابة . وقد تطلعت إلى الأمام بوجه باسم مترفع ينم عن علو شأنها ، وارتدت ثوباً طويلاً ذا ثنيات (شكل ١)[١١٤] .

١٠٢ ـ ويبدو الطابع المحلي في تمثال صغير حفظ بمتحف صنعاء ، لسيدة (؟) مثل وجهها بجبهة عريضة وحاجبين كثيفين وفم صغير ، تجلس وساقاها من تحتها كأنها تصلي أو تتعبد ، ومدت يديها إلى الأمام مع ثنيهما عند المرفق في هيئة الدعاء أو بما يدل على أنها كانت تضع فوقهما قرباناً ما . وشكلت الأصابع فيهما بحزوز وبدون تفصيل . وغطت السيدة رأسها بغطاء رأس مسطح بسيط جمع شعرها إلى خلف الأذنين . (شكل ٢) ووجدت تماثيل أخرى قريبة الشبه بهذا المثال)[١١٣] .

١٠٣ ـ وتمثال ذو طابع محلي آخر لسيدة ذات ثوب محبوك وشعر جزل ينسدل على جانبي الوجه حتى الكتفين ، وميزه أنه مثلها تخطو بتقديم ساقها اليسرى إلى الأمام . وربما ارتدت سروالاً طويلاً تحت ثوبها ، كما تزينت بخلخال (شكل ٣ أ ـ ب) .

١٠٤ ـ وتمثال ممتع (حفظ بمتحف صنعاء أيضاً) لسيدة مثلها واقفة ، بشعر مرجل وضفيرة خلفية . وقد ارتدت ثوباً طويلاً مزركشاً بألوان ، ولكنه محتشم ، وزينت جيدها بطوق مزخرف ، ونحرها بقلادة مدلاة ، ومعصميها بأساور ثمينة . وثنت ذراعيها عند المرفقين وبسطتهما أماماً على الجانبين ، بكف مبسوطة تحمل بقية قربان ، وكف نصف مفتوحة تضم عطاء ما فيما بين البنصر والإبهام ، وافتر ثغرها عن بسمة خفيفة

تصحب ما ظهرت عليه من هيئة تقديم القربان ، أو الترحيب باستجابة الدعاء (شكل ٤ أ ـ ب) .

١٠٥ ـ بقية تمثال أنثوي صغير نحت من الحجر الرملي باسم السيدة لبأ بنت إبل عم القتبانية . وقد فقد الرأس والقدمين وأطراف الذراعين اللذين كانا يمتدان إلى الأمام لتقديم القربان أو لتقبله . وبقي منه ما يدل على جسم ممتلىء . وبلغ ارتفاعه ١٤,٨ سم (شكل ٥)[١١٤] .

١٠٦ ـ رأس خشكِّل من المرمر المحلى (٢٥ × ١٦ سم) لأنثى ذكرت باسم ثوب نعم من عشيرة (ذن) يردع سحفان . وتصدر الرأس مشكاة صغيرة في ناووس جرانيتي وجد في مأرب . وعبر بخطوطه العامة عن شخصية جميلة نبيلة لولا أنها ظهرت بعينين جاحظتين ، كما تجاوز عن التفاصيل في مثل تزجيل شعر الرأس ، بحيث بدا قوياً على هيئة رؤوس الرجال (شكل ٦)[١١٥] . وقد يعلل هذا التبسيط بالرغبة في تسطيح أعلى الرأس بما يناسب خطوط المشكاة التي وضع فيها ، أو يعلل بعدم اكتمال تشكيله لسبب أو آخر .

١٠٧ ـ واستغل مثال نقاء المرمر لإظهار رأس أنثى في هيئة تقليدية ، ببشرة صافية وثغر منفرج قليلاً وشعر ذي تجعدات أفقية مرسل على جانبي الرأس من الخلف (شكل ٧) .

١٠٨ - وأكثر احتشاماً من هذا الوضع أو ذاك ، ما شكلت به كتلة حجرية مكعبة صغيرة نحتها فنان على هيئة سيدة بدت بوجه سمح وملامح رقيقة ، وجلست ملتحفة فوق ثوبها بعباءة موجة النسيج تغطى رأسها وبدنها ولا تكشف إلا عن وجهها وكفيها ، وضمت السيدة وليدها العاري إلى صدرها بما جسد حنان الأمومة فيها . وتميز تمثالها بوقع إنساني وفني لطيف على الرغم من صغره وبساطة خطوطه (شكل ٨ أ ، ب)[١٠٥] .

١٠٩ - تمثال برونزي لسيدة ذات ثوب محبوك وشعر مرسل على الكتفين ، حفظ بمتحف صنعاء . وقد مدت يديها إلى الأمام في تعبد ، أو بقربان . وفقد التمثال أجزاء من الذراعين والرجلين (شكل ٩) .

١١٠ - تمثال برونزي (ارتفاعه ١٧,٥ سم) لسيدة سبئية بشعر مرجل ينسدل على الكتفين . تعلوه عصابة معقودة من الأمام . وقد مالت بجذعها العلوي إلى اليسار وثنت يدها اليسرى عند المرفق ، كما ثنت ساقها اليسرى قليلاً عند الركبة ورفعت كعبها ، وارتدت السيدة ثوباً طويلاً رقيقاً ذا كمين قصيرين ، وملفعة غطت الكتف الأيسر والتفت حول الوسط ، كما أحاطت خصرها بحزام معقود . وفقد التمثال القدم اليمنى والذراع اليمنى التي كانت مرسلة بمحاذاة الجسد . وقد تعود صناعته إلى القرن الأول للميلاد[١٠٦] . (انظر أيضاً شكل ١٠ - فقرة ١١٣ أدناه) .

١١١ - تمثال سبئي برونزي (٧,٣ سم ارتفاعاً) ، مثل امرأة ذات شعر مجعد منسدل على كتفيها ، وثوب قصير ينتهي بعد الركبة . وضمت يدها اليسرى ، بينما بسطت يدها اليسرى مع رفع إبهامها إلى أعلى[١٠٧] .

١١٢ - تمثال برونزي تماثل (٦,٢ سم ارتفاعاً) ، لسيدة ثنت ذراعها اليمنى عند المرفق إلى الأمام ، وبسطت كفها ومدت إبهامها ، في حين ثنت ذراعها اليسرى عند المرفق ، وقبضت كفها[١٠٨] .

١١٣ - تمثال برونزي (في متحف صنعاء) بوضع مختلف ، لسيدة وقفت بصدر ناهض وعصابة معقودة وثياب مزركشة ، وحزام مربوط ، وكأنما تتأود في دلال ، ليس للتعبد وإنما لتوكيد الجمال (شكل ١٠) . (انظر كذلك فقرة ١١٠ أعلاه) .

وتعددت تماثيل برونزية صغيرة أخرى لنساء هنا وهناك ، أظهرت بعضهن بثياب طويلة ، وبعضهن بثياب تنتهي أسفل الركبة ، وإن أصاب التلف للأسف معظمها[١٠٩] .

واستخدم الفنان العربي القديم أسلوب النقش شديد البروز وتفريغ ما حوله من أرضية (حجرية) في تشكيل بعض صور الإناث

والرجال) في هيئات مجسمة تقلد هيئات التماثيل ، وإن لم تكن منها . ومن هذا القبيل :

١١٤ ـ نصب من الألباستر وجد في جبانة مدينة تمنع ، شكلت عليه هيئة سيدة قصيرة القامة ممتلئة الجسم ، ضخمة الرأس نوعاً ، في غير تناسق ، ترتدي ثوباً كاسياً برقبة مقفلة ، وتتحلى بقلادة وقرطين وغطاء رأس تزينه عصابة ، رفعت يديها إلى مستوى كتفيها مع ثني مرفقيهما ، كأنما ترحب بهما أو تهلل أو ترقص . وافترض أحد الآراء تأريخها بقبيل القرن السادس قبل الميلاد (شكل ١١)[١١٣] .

١١٥ ـ جسدت هيئة الرأس والجذع العلوي لسيدة على مسطح لوحة حجرية ، فظهرت حوافها في شبه استدارة ، وظهرت السيدة نفسها بوجه مستدير وبدن سمين وعنق غليظة ، حتى أوشكت أن تبدو في هيئة الفتيان ، لولا ما زينت به جيدها من قلائد وزينت به معصميها من أساور . وفاض وجهها وشفتاها بالنعومة لولا اتساع محجري العينين وسمك الأنف بشكل واضح . وارتدت السيدة ثوباً بكمين قصيرين ، ورفعت يدها اليمنى من عند المرفق وبسطت كفها قائمة تعبداً ، وصورت الكف نفسها في ليونة وواقعية لطيفة ، في حين أمسكت بيدها اليسرى زهرية أو مزهرية كبيرة مثلثة ضمتها إلى صدرها ، وربما قلدت صورة هذه اللوحة أسلوباً خارجياً محوراً (شكل ١٢) .

١١٦ ـ جسدت هيئة أنثى قنبانية ممتلئة الجسد في تشكيل مجسم على لوحة حجرية أخرى من الألباستر وجدت في تمنع . وظهرت بصدر عريض ونديين ناهضين وثوب واسع زخرفت فتحته العليا وجانباه . ورفعت يدها اليمنى في وضع الدعاء ، وضمت يدها اليسرى إلى صدرها تحت نهديها ، كأنما تشد بها مجامع ثوبها ، وأمسكت بها قرباناً أو رمزاً نباتياً ما . وقد تهشم الوجه ، وتزين معصم اليد اليسرى بسوار مزدوج ، ويحتمل تشكيل اللوحة خلال العصر الهيلينستي (شكل ١٣)[١١٤] .

١١٧ ـ وزاد فنان من تمثيل الجمال الأنثوي الوقور بأن ركز الاهتمام على الوجه والعنق ، وشكل جانبي الرأس وخلفيته تشكيلاً مسطحاً في حجر أبيض ناصع بما أوحى بهيئة غلالة رقيقة فوقه (شكل ١٤) .

١١٨ ـ واحتوت المتاحف ونتائج الحفائر الأثرية على مجموعة كبيرة من أشكال أنثوية صغيرة ، صنعت من أحجار وصلصال وفخار ، أشرنا من قبل إلى احتمال كونها دمى أو تمائم أو نذوراً ، يعبر فيها عن هيئة الرأس والبدن بخطوط عامة دون تفصيل ، ولا تكتمل أطرافها توقعاً لتعرضها للكسر السريع . وربما صورت على أجسادها أحياناً زخارف ملونة ، ويحتفظ متحف صنعاء ومتحف عدن بعدد من هذه وتلك . (شكل ١٥)[١١٥] .

١١٩ - ومن هذا القبيل أيضاً تماثيل نسوية خشنة صغيرة من حفائر الخليج ، أرجع تاريخ صناعتها إلى عهد حضارة باكون ، واكتفى صناعها في تشكيلها بملامح الأنوثة العامة كالأثداء المستديرة ، وبعض الامتلاء في خطوط الجسد (شكل ١٦ - أ - ج)[١١٥] .

١٢٠ - ووجدت في منطقة رم على أطراف الأردن أحجار شكلت على هيئة تماثيل نصفية بدائية الصناعة ، يحتمل من التماثيل النسوية منها أن الأنثى كانت تلبس مسفحة تغطى الرأس وتلف حول العنق بحيث تلتقي مع ثوب طويل ينسدل على الجسم حتى العرقوبين[١١٦] .

وأدت النقوش متوسطة البروز وقليلة البروز ، ما أدته التماثيل (الكاملة وغير المكتملة) بالنسبة لتخليد الأشكال النسوية ، في مناسباتها الخاصة . ومن نماذجها المختارة :

١٢١ - لوحة مستطيلة من الألباستر المحلي (تبلغ أبعادها ٢٨,٤ × ٢٧ سم) عثر عليها في هجر بن حميد بدولة قتبان العربية . واحتفظت بمنظر قليل التصوير ، يمثل أنثى ممتلئة الجسم والكفل ذات وجه صور باتساعه من أمام مع لفتة خفيفة إلى ناحية اليسار . وقد صورت بثوب طويل ، وشعر مرسل على جانبي وجهها ، وزينت عنقها القصير بقلادة

عريضة . ورفعت شيئاً ما بيديها إلى مستوى صدرها ، قد يكون قيثارة أو وليداً . وجلست السيدة على مقعد ذي مسند مرتفع وعوارض سفلية ، ووضعت قدميها على موطىء أقدام ، وذلك مما يشير إلى علو قدرها . وصور المنظر داخل جوسق ذي أسطوانين يشبهان الأساطين الكورنثية ، وله سقف مقبى شكل كل طرف من طرفيه على هيئة عنق ورأس وعل أقرن ، بينما صورت في كل من الركنين العلويين زخرفة نباتية ، ووقف على جانبي السيدة شكلان لجاريتين أو تابعين ، ضم كل منهما يداً على صدره بحلية معينة ، وثنى الأخرى ورفع كفها (شكل ١٧)[١١٨] .

١٢٢ - ونقش منظر شبيه بهذه الأوضاع مع بعض الفوارق اليسيرة على النصف العلوي من لوحة أخرى (٤٥ × ٢٧ سم) . فظهرت هيئة أنثى ممتلئة الجسم والردفين تكتسي بثوب فضفاض فاخر ، وتسند يسراها على فخذها بوليد ، وتضم يمناها مبسوطة الكف إلى صدرها . وجلست السيدة على مقعد مرتفع ذي مسندين داخل جوسق فخم ظهرت فيه بما يشبه صور القديسات على جدران الكنائس البيزنطية ، وربما عاصرتها (شكل ١٨) . وصففت شعرها على الطابع الهيلينستي أو الروماني ، ووضعت قدميها على موطىء أقدام ، وكل ذلك مما يعنى أهمية شأنها . وأحاط بالسيدة شكلان لتابعين أو جاريتين حمل أحدهما مبخرة أو آنية تتدلى

من قلادة أو سلسلة في يمناه المقبوضة على صدره ، وبسط يسراه المثنية تجاه وجهه . هذا بينما رفع الأخر يده المثنية تجاه السيدة بكف مطوية الأصابع ، وضم الأخرى إلى صدره ممسكا بها رمزا ثميناً ما . وزخرفت واجهة الجوسق بأشكال نباتية وعلت أحد طرفيه على الأقل رأس بشرية ، ورفع سقفه شبه المقبى أسطوانان منخفضان ، بحيث أوشك السقف أن يلامس رأس السيدة ، وشغل جزءاً من الفراغ الواقع بين السيدة وبين رأس أحد الشكلين التابعين هيئة حيوان صغير قد يمثل شاة .

١٢٣ ـ وتضمن النصف الأسفل من هذه اللوحة منظراً للسيدة في وضع متحرر ، فصورت راقدة على جنبها في استرخاء فوق سرير ، وأسندت رأسها على كف يدها اليمنى التي تستند بكوعها على مقدمته المرتفعة ، ووقفت لدى رأسها أنثى (؟) تربت بيدها على رأسها . وصور في الفراغ الواقع فوق ساقي السيدة الراقدة حيوان صغير . ولعل في تكرار تصوير مثل هذا الشكل الحيواني على أكثر من لوحة واحدة ما يعني أنه كان يرمز إلى مدلول ديني ما . وقد يرجع تأريخ هذه اللوحة إلى عهد سبئي متأخر (شكل ١٨)[١٢٢] .

١٢٤ ـ ومن المناظر الصغيرة منظران نقشا بحزوز سطحية قليلة العمق على نصبين متشابهين من سبأ وحفظا بمتحف صنعاء ،

وصور في كل منهما الجذع العلوي لفتاة تصويراً أمامياً كاملاً ، بوجه شبه مستدير وفم دقيق وشفتين ممتلئتين بضتين ، وعينين لوزيتين كحيلتين ، وشعر مفروق في منتصف الرأس بضفيرتي مرسلتين على جانبي الوجه حتى أعلى الصدر . وتزينت كل منهما بقلادة ، وارتدت إحداهما على الأقل ثوباً صوفياً (؟) بخطوط رأسية على الصدر وخطوط أفقية مائلة على الكمين (شكل ١٩) .

١٢٥ ـ ونسخ إدوارد جلاسر تخطيطاً لنقش فريد وجده قرب مأرب ، وقد صور شابة جسورة ممتلئة الوجه ، طويلة الجسد والشعر ، ترتدي ثوباً قصير الكمين ، وترفع بيديها ما يشبه بلطة الحرب والترس المستدير ، في حين يشرئب إلى جانبيها كلبان ، أو كبشان بغير قرون (شكل ٢٠) . ولو صحت هذه الصورة لكانت أقرب إلى الرمز إلى إحدى راعيات الحماية والقتال والدفاع في العقائد السبئية (؟) القديمة . ولايبعد أن فنانها تأثر في تصويرها بمنظر مماثل على ختم بابلي قديم أو نحوه[١٢٣] .

١٢٦ ـ ويحتفظ متحف صنعاء بلوحة معدنية نقش عليها ما اعتبرته بطاقة الدليل شكل أنثى ذات ثوب كاس أحكمت زنارا حول وسطها ، ومدت يدا بمبخرة وضمت الأخرى إلى صدرها

قرمان . وإن لم تخل نسبة هذا الشكل إلى أنثى من الشك (شكل ٢١) .

١٢٧ ـ وجمعت لوحات قليلة بين رجال ونساء في مناظر أسرية . ومنها لوحة شكل جزؤها العلوي بما يشبه هيئة المشكاة ، وجلس في داخله رجل وزوجته في مأدبة صغيرة يواجه أحدهما الآخر ، وقد رفع كل منهما كأسه بيده (شكل ٢٢)[١٣١] .

١٢٨ ـ وثمة لوحة حجرية ذات منظر فريد (في متحف صنعاء) ، صورت سيدة جليلة القدر ممتلئة البدن والأرداف جلست على مقعد بسيط ذي قوائم متقاطعة (يشبه هيئة بعض المقاعد المصرية القديمة)، وقد استرسل شعرها الجزل على جانبي وجهها وخلف رأسها ، وأمسكت كأساً بيد ، وقرباناً على هيئة تمثال لحيوان اضحية (؟) بالأخرى. وارتدت ثوباً سميكا ذا ثنيات رأسية عدة. وتقدم إليها في مواجهتها شيخ وقور، أمسك برمح قائم (شكل ٢٣). ولعلها رمزت إلى معبودة قديمة وليس لأنثى عادية، لا سيما وقد تصدر نقوش اللوحة هلال وقرص قد يشيران معا إلى ربوبية القمر والشمس في العقائد الجنوبية، فضلا على شكل مبخرة كبيرة .

١٢٩ ـ وقد تقرن بهذا الفرض صورة أنثى نقشت واقفة داخل مشكاة في صدر لوحة حجرية تقلد خطوطها واجهة مبنى قديم .

وارتدت الأنثى ثوباً صوفياً (؟) ذا اهداب او ثنيات طويلة رأسية ، وربما كان معها ما يرمز إلى ربوبية الشمس ونجم الشعرى ، (شكل ٢٤) ، هذا وإن وجب التنويه بأنه قل أن مثل العرب الجنوبيون معبوداتهم في أشكال بشرية[١٣٢] .

١٣٠ ـ وفي شمال شبه الجزيرة ، عثر على لوحة حجرية صغيرة فوق قمة جبل غنيم بمنطقة تيماء ،صورت عليها معبودة بثديين واضحين ، تجلس على مقعد أو عرش باربعة قوائم تنتهي بما يشبه مخالب الأسد . ولم يكشف وجهها عن تقاطيع صريحة ، وإنما قسمت صفحته بخطوط وعلاه مفرق شعر أنثوي ، ودفع ذلك إلى احتمال الرغبة في تمثيله وجهاً يرمز الى إحدى معبودات تيماء مثل اللات أو أشيرة أو غيرهما . وأمسكت هذه الأنثى بيدها اليمنى حبلاً ينتهي بوعاء او سلة قربان ، وأمسكت بيدها اليسرى عصا أو بلطة حرب تقوم مقام الصولجان . وصورت تحتها مبخرة يتصاعد منها دخان البخور . وقد يرجع عهدها إلى أواخر القرن السادس ق . م[١٣٣] .

١٣١ ـ وإذا تجاوزنا مصادر شبه الجزيرة العربية قليلاً إلى ما صورت به بعض معبودات عرب الأنباط في شرق الأردن ، فثمة تمثال نصفي لمعبودة نبطية وجد فوق مدخل هيكل معبد خربة التنور الذي يرجع إلى القرن الأول ق . م ، وقد مثلها بما

تحمل أن بدل على نقاب يغطي وجهها من تحت عينيها إلى عنقها ، وتهدل شعر رأسها على منكبيها[١٣١] .
ووجد تمثال اخر في المعبد نفسه لمعبودة نبطية (؟) أحيط حصرها بطوق نقشت عليه رموز بروج السماء .

١٣٠ ـ وعثر في خربة عين براك قرب البتراء على رأس من الحجر الجيري لأنثى أو معبودة ذات وجه ممتلىء وذقن مستطيلة وشفتين ممتلئتين وشعر ينسدل على جانبي وجهها . وقد يؤرخ أسلوب نحته بالقرن الأول أو القرن الثاني بعد الميلاد[١٣٢] .

١٣٣ ـ ووجدت غرب عمان تماثيل ورؤوس كبيرة للمعبودة عشتارتي . وقطع فخارية مشكلة تصور رصيفتها أشيرة ، عارية تستر عورتها بكفيها ، أو ترفع يديها بحيتين أو غصنين . وغالباً ما شكل شعرها وتاجها على مثال الشعر الحتحوري والتاج الحتحوري في الفن المصري القديم[١٣٣] .

وتكمل هذه المجموعة النبطية والأردنية بتماثيل ورؤوس أخرى جميلة ومجنحة قلدت مثيلاتها من التماثيل الأسطورية الهيلينستية والرومانية[١٣٤] .

١٣٤ ـ وصور التدمريون بعض معبوداتهم الإناث ، ومنهن اللات العربية ، في هيئات بشرية نسوية فخمة تناسب سعة ثرائهم واتصالاتهم بالعالم الخارجي وتأثرهم تبعاً لذلك ببعض العقائد اليونانية والرومانية .
وصور الصفويون معبودتهم رضا العربية ، نجمة السماء ، في بعض مناظرها على هيئة أنثى عارية تتحلى بالحلى الفاخرة ، وتبسط يديها على امتدادهما ممسكة بأطراف شعرها الطويل أو بغلالة فيما يقلد دائرة أفق السماء . وقد تأثرت رموزها هي الأخرى برموز بعض ربات جنوب الشام القديمات . (شكل ٢٥ ، وشكل ٢٦)[١٣٥] .

ومن مناظر الترفيه الرمزية :

١٣٥ ـ لوحة يحتمل تأريخها بالقرن الثالث أو القرن الرابع بعد الميلاد ، صورت في نصفها العلوي ، رجلاً يدعى عجلم بن سعدلات في مجلس شراب أو قربان ، يجلس على مقعد بسيط بغير ظهر ، وقد رفع كأسه ، ووضعت له قنينة شرابه وكأس أخرى أمامه فوق مائدة بسيطة ذات قوائم متقاطعة تشبه الموائد المصنوعة من الخيزران . وواجهت الرجل أنثى صغيرة (؟) بقلائد ، ترفع كأساً بيد ، وشيئاً آخر غير واضح المعالم باليد الأخرى . ثم أنثى أخرى أكبر سناً وحجماً ترتدي ثوباً مزركشاً وقلائد ، وينسدل شعرها أو غطاء رأسها على الجانبين في جدائل ، وقد أمسكت بما يشبه آلة موسيقية استندت على ذراعها (شكل ٢٧) . وصورت هذه الأنثى الأخيرة والرجل تصويراً أمامياً بوجه كامل ، دون الأنثى

الصغيرة . (وظهر الرجل نفسه (أو غيره ؟) في النصف الأسفل من اللوحة يمتطي صهوة جواد ويسوق بعيراً . وقد صور هذان الحيوانان تصويراً جانبياً) . واستعدى سياق النقاش في أعلى اللوحة معبوده عشتر شرقن (أي الشارق أو المشرق) على من يغير موضعها أو يفسدها[١٣٥] .

١٣٦ ـ ذكر الهمداني في الإكليل خبر تمثالين من المرمر لفتاتين حملت إحداهما عودا في يمناها ، ومزماراً في يسراها . واعتبرهما من أسرة عاد بن آرام على حد قوله[١٣٦] .

١٣٧ ـ ووجدت كسرة من لوحة سبئية نقشت عليها صورتان لسيدتين وقفت إحداهما وجلست الأخرى ، وارتدت كل منهما ثوباً طويلاً فضفاضاً . وإن لم يبق من الشكلين غير القليل ، ولهذا يصعب القطع بالهدف من تصويرهما[١٣٧] .

١٣٨ ـ وازدان كتفا مدخل من الجرانيت لمعبد رصف بمدينة هرم (الحزم) القديمة في دولة معين ، بنقوش لأوان وحيوانات وطيور ورموز متقنة ، امتاز من بينها شكلان لفتاتين صورتا كاملتين من الأمام ، بخصر نحيل وشعر متوسط الطول تهدل على جانبي الوجه وخلف الرأس . واكتست كل منهما بمئزر مزركش ذي حمائل تتقاطع على الصدر ، وارتدت فوقه عباءة شفافة واسعة تدلت من الكتفين على الجانبين . ورفعت كل

منهما يدها إلى أعلى مع الانثناء عند المرفق ، وأمسكت بيمناها ما يشبه عصا ذات طرف مقوس ، ووقفت فوق منصة ذات بضع درجات . وربما دل هذا على قيامهما بنوع من الرقص الرمزي في طقوس المعبد ، ونمّ في الوقت نفسه عن ارتفاع شأنهما عن مستوى الراقصات المحترفات (شكل ٢٨)[١٣٨] .

١٣٩ ـ ومن أوضاع الرقص في آثار الخليج ، ما صورته مخربشات نقشت على صخرة في مصفوت ، ومثلت رجالاً ونساء معدودين يرقصون فرادى وجماعات مع رفع اليدين وإفساح ما بين الساقين . وهي أشكال صغيرة عبرت عن هيئات نسائها بامتلاء البطن والعجز امتلاء نسبياً (شكل ٢٩)[١٣٩] .

١٤٠ ـ وبقي على صخرة من تل برنس قرب سكاكا في شمال شبه الجزيرة ما يصور ١٣ أو ١٤ سيدة (يبلغ ارتفاع كل منهن ٣٠ سم) ، يرفعن أيديهن ويحملن أو يستظللن بشيء مسطح مجدول تتدل منه تسعة خطوط . وهو تصوير مختصر ساذج قد يمثل رقصاً أو عبادة طقسية[١٤٠] .

١٤١ ـ وتضمنت أحجار رجم هاز (النبطي ؟) بالأردن لخفة حجرية صورت امرأة نحيلة طويلة شبه عارية ذات شعر طويل متطاير ، تنفخ في مزمار من قصبتين إحداهما أقصر من

الأخرى (ويشبه ما يسمى الآن بالمقرون . وقام في مواجهتها شخص يرقص ويصفق بما يشبه الصاجات ويرتدي ثوباً ذا أهداب . وفكر يكون الراقص هو هانيء صاحب القبر نفسه ، أو مهديكر اللخفة الذي قال في نصه « بواسطة عقربان بن كاسط بن سعد ، هذه الدمية (أو هذه المرأة الرامرة) »[١١٢] .

١٤٠ ـ وشكلت هيئة أنثى (نبطية ؟) على نصب صغير آخر بخطوط تقريبية[١١٣] .
ويمكن الاشارة في إيجاز إلى بضعة أشكال قديمة مثلت تعانق الذكر والأنثى كناية عن الإخصاب الجنسي ، أو نتيجة للهو الصانع أو الفنان ، وعبثه بخطوطه وتماثيله الصغيرة في أوقات فراغه .

١٤٣ ـ ومن هذا القبيل عثر على تمثال خشن صغير لأنثى في منطقة القلعة بالبحرين ، صنع من الصلصال المحروق (تراكوتا) . وبقيت فيه حول البدن وبين الساقين أجزاء قد تمثل ما تخلف من شكل رجل يحتضن الأنثى بذراعيه من الخلف ويولج ساقه بين ساقيها ، إن لم تمثل مجرد أجزاء تخلفت من مادته عفواً حين صناعته (شكل ٣٠)[١١٤] .

١٤٤ ـ وثمة تمثال أنثوى (؟) آخر من صلصال ، وجد في حفائر الفاو السعودية ، لوجهه ملامح غليظة ، وشكل في جزئه السفلي عضو الذكورة . وربما مثل أو قلد أحد رموز الإخصاب الهيلينستية أو الرومانية[١١٥] .

١٤٥ ـ تكررت الصور المتعانقة في نقوش أختام صغيرة وجدت بين بعض آثار الكويت وآثار البحرين[١١٦] .
وقد تقرن بفكرة الإخصاب أيضاً تشكيلات تقريبية لأعضاء التناسل وجد بعضها في بدنة ، ونقلت نماذج منها إلى متحف آثار جامعة الملك سعود بالرياض[١١٧] .

١٤٦ ـ وصور نقش على واجهة المدخل الشمالي لقبر هيلى الكبير في دولة الإمارات العربية منظراً لتعانق ذكر وأنثى (شكل ٣١)[١١٨] .

١٤٧ ـ ووجد بين الرسوم الصخرية بوادي بني خرمص في سلطنة عمان ، ما يصور رجلاً وامرأة متواجهين بسبيل العناق (مما نشر عنه بمعرفة رودى جاكلي) (شكل ٣٢)[١١٩] .

١٤٨ ـ وصور منظر على لوحة (سبئية ؟) صغيرة على جانبيه فتى وفتاة عاريان[١٢٠] .

١٤٩ ـ ووجدت في كاف بوادي السرحان في الشمال ، أطلال بناء

قديم بقيت على حجر فيه صورة ثدي أنثوي بارز دقيق النحت[١٤٨] .

* * *

انعكس اتساع الصلات العربية بالحضارات الخارجية على فنون النحت والنقش .

١٥٠ ـ ومن هذا القبيل فيما عثرعليه من آثار في شمال شبه الجزيرة ، منظر فريد تبيناه منقوشاً على النصف الأسفل من لوحة حجرية متوسطة الحجم ، كانت قد نقلت إلى متحف دائرة الآثار بالرياض (شكل ٣٣)[١٤٩] . وهو يصور سيدة ناهضة الثديين غليظة التقاطيع نوعاً ، ألفت خمارها السميك على خلفية رأسها وعلى شعرها المرسل إلى الوراء . وضمت السيدة يسراها إلى صدرها ، ورفعت يمناها إلى تلقاء وجهها ممسكة بما يشبه مرآة دائرية ، وظهر أسفلها في ركن اللوحة مبخرة فوق مائدة (شكل ٣٣) . ولا يخلو وضع المرآة معها من بعض التشابه ، وليس بالضرورة بعض التقليد ، مع عدد من مناظر تصوير النساء في مصر القديمة (شكل ٣٤)[١٥٠] .

١٥١ ـ وأخذ الجزء العلوي من اللوحة بالطراز المحلي في نقش ما يصور عينين لوزيتين بحاجبين متصلين ، وأنفاً طويلاً ، لوجه بحجم كبير وبخطوط تجريدية عامة اختصاراً لرأس شخص ما (شكل ٣٣ أعلى) ، كما جرت العادة في بعض نصب الجنوب العربي ، ومن قبلها في مناظر أختام عراقية قديمة . هذا إن لم يكن تعبيراً عن وجه محجب لمعبودة ما مثل العزى التي وجد لها تشكيل مماثل إلى حد ما في منطقة رم[١٥١] . وقد فرغت أرضية ما حول الشكلين في اللوحة وأحاط بكل منهما إطار عريض (عرضه العلوي ٥,٥ سم ، وعرضه الأوسط ٣ سم ، وعرضه الجانبي ٤ سم) .

١٥٢ ـ وعثر بين آثار معبد باربار في البحرين على مقبض مرآة شكل في صورة أنثى ملفوفة القوام تضع يدها تحت نهديها . وقد ترجع صناعته إلى فترة ما من النصف الأخير من الألف الثاني ق . م . ويماثله مقبض مرآة آخر عثر عليه في منطقة مهى ذات الصلة بحضارة كولى بحوض السند (شكل ٣٥) . ونوه «ن . راو» بشيوع مقابض المرايا المشكلة على هيئات بشرية في مصر بخاصة خلال عصور دولتها الحديثة (منذ القرن ١٦ ق . م) ، وفي جنوب غرب آسيا[١٥٢] .

١٥٣ ـ وقدم المستشرق يوتينج فيما نشره عن رحلته إلى بلاد العرب خلال القرن الماضي ، تخطيطاً لصورة جانبية لرأس أنثوي وجذع علوي وتصفيفة شعر ترجح صناعته على مثال الأسلوب الفني المصري القديم (شكل ٣٦) ، وإن أصابه تلف كبير[١٥٣] .

١٥٤ ـ وتنسب الى فن النقش القتباني في مراحلة الأخيرة ، لوحة مستطيلة ذات نقش جداري ، نقلت إلى متحف بومباي . وظهر في نصفها الأعلى شكل الرأس والجذع العلوي لفتاة بوجه صبوح ممتلىء ، انسدلت ضفيرتاها على جانبي رأسها . ورفعت يمناها مع ثني ذراعها عند المرفق وبسط كفها إلى الأمام ، بينما ضمت يسراها على صدرها ممسكة بطائر قد تكون له دلالة دينية . وارتدت الفتاة ثوباً مزركشاً بطراز أو زخارف في صفين طوليين ، وكمين قصيرين ، وتحلت بسوار في كل عضد . والواقع أن اللوحة أقرب في تشكيلها العام الى تصوير هيئة فتاة هندية منها إلى فتاة عربية ، وإن سجل تحتها سطران بالخط المسند . وإذا صحت نسبتها الى مقبرة قتبانية قديمة فعلاً ، فلا يبعد أن فنانها العربي قلد فيها نموذجاً هندياً (شكل ٣٧)[١١٥] .

١٥٥ ـ وظهر بعض التأثير الهندي كذلك في تمثال معدني لأنثى ناضجة ترتدي قميصاً مزركشاً فوق ثوب طويل ، وتقف في وضع طقسي تميل فيه بجسدها هونا وتبسط ذراعها اليمنى برفق على امتدادها ، ممسكة بين الإبهام والبنصر بعطاء ما ، وترسل ذراعها اليسرى بجانب جسمها (شكل ٣٨ أ ـ ب) .

١٥٦ ـ ومن التماثيل الصغيرة في آثار حضرموت تمثال برونزي لسيدة

تتمايل بجسدها في تثني الراقصة المحترفة . وهو ذو أسلوب هندي أيضاً ، عثر عليه في خور روري وهي سوموهورام القديمة ، في ظفار . ويحتمل تاريخ صناعته بالقرن الثاني قبل الميلاد . وفقد التمثال الرأس والذراع اليسرى والقدمين . وبقي على جسد صاحبته ما يدل على ارتدائها ثوباً هفهافاً قصيراً ، وقلادة من ثلاثة صفوف . ونم وضع ذراعها اليمنى عن أنها كانت تعزف على الناي ، كما بقي على كتفيها ما قد يعبر عن أطراف شعرها المرسل ، أو يعبر عن شيء ما كان يعلو رأسها (شكل ٣٩)[١١٦] .

وازداد استمتاع ذوي الذوق الفني والمترفين في العصور العربية المتأخرة زمناً ، بما يقلد أشكال النساء ذات الطابع الهيلينستي والروماني في النقوش والتماثيل ، وما كانت تصور به من وجوه بضة مستديرة وبشرة بيضاء وتقاطيع رقيقة وترجيلات شعر رائعة[١١٧] .

١٥٧ ـ وفي نقش مجسم على الألباستر وجد في مأرب وحفظ في متحف صنعاء ، تصوير ممتع لأنثى ربعة مكتنزة الجسد ممتلئة الوجه ، أرسلت جدائل شعرها حول رأسها ووجهها ، وغطت نصفها السفلي ثمار وأوراق الكروم الكبيرة ، وأحاطت بها زخارف نباتية وأسطورية يتبدى الطابع الهيلينستي واضحاً بها (شكل ٤٠)[١١٨] .

١٥٩ ـ وعثر على رأس تمثال ذي أسلوب فني خليط لأنثى ، في إحدى مقابر حايد بن عقيل جبانة تمنع عاصمة دولة قتبان . وقد نحت من الألباستر ، ويحتمل تأريخه بما بين القرن الأول وبين القرن الثاني قبل الميلاد ـ وعكست تقاطيعه الطابع الهيلينستي لفتاة لها عنق طويل كانت تزينه قلادة ، وثقبت أذناها ليتدلى منها قرطان ، وانعقدت خصل شعرها خلف الرأس من نفس مادة الحجر ، بما يشبه الأسلوب المصري القديم ، كما احتفظ محجرا العينين بآثار تطعيم باللازورد على عادة كثير من تماثيل الجنوب العربي والتماثيل المصرية من قبلها . ومع ما أخذ به هذا الرأس من الأسلوب الهيلينستي السكندري ، حفر الفنان على الصدغين ما يشبه وشماً أو تشريطاً قد يعبر عن عادة محلية أو قبلية ، إن لم يكن تقليداً لأثر حجامة أجريت لصاحبة الرأس لتشفى من داء ما . وأطلق عليها عمال الحفائر اسم مريم أو مريام فعرفت به (شكل ٤١ أ ـ ب)[١٣٥] .

١٦٠ ـ ومن نماذج الفن المستورد ، رأس برونزي يقرب حجمه من الحجم الطبيعي للرأس البشري ، عثر عليه في غيمان ، وحفظ بالمتحف البريطاني . ومثل وجهاً أنثوياً (؟) بشفتين ممتلئتين وثغر منفرج مقوس ، وتصفيفة شعر هيلينستية أو رومانية ذات خصل . وكانت فجوتا العينين مطعمتين . وقد ترجع صناعة هذا الرأس إلى القرن الثاني بعد الميلاد (شكل ٤٢)[١٣٦] .

١٦٠ ـ ويشبه الرأس السابق رأس آخر من مجموعة خاصة حفظت في القسطنطينية ، ذو عينين لوزيتين متسعتين ، وحاجبين متصلين ، وأنف طويل دقيق ، وشفتين ممتلئتين بعض الشيء ، وتصفيفة شعر هيلينستية أو رومانية تغطي الأذنين ، ولكن لم يشكل عنقه . والرأس أقرب إلى أن يكون من صناعة عربية جنوبية قلدت نموذجاً خارجياً ، وجاء خليطاً من ملامح الرجل وملامح الأنثى[١٣٧] .

١٦١ ـ وتمثال صغير (من النماذج الخليطة) يحتفظ به متحف صنعاء ، مثل أنثى تجلس على مقعد منخفض وتنحني بجسدها قليلاً ، كما تلتفت برأسها في رشاقة ، وقد أسندته على ذراعيها في حركة شبه رياضية ، وإن اكتفى الفنان بتشكيل الرأس تشكيلاً عاما دون تفصيل (شكل ٤٣) .

١٦٢ ـ وغلب الأسلوب الهيلينستي على هيئة تمثال أنثوي صغير جميل من الصلصال المحروق (تراكوتا) ، عثر عليه بين آثار جزيرة فيلكا في الكويت . وقد لون بلون أحمر . وبقي منه ما يمثل الرأس والجذع العلوي . وربما قصد به ما يقلد صورة أفروديت رمز الجمال اليونانية . وقد أظهرها في هيئة فتاة طويلة الجيد حلوة الملامح تكسوها براءة لطيفة (شكل ٤٤)[١٣٨] .

١٦٣ ـ وعثر في الموقع ذاته على جزء من قائم مبخرة صنع من

الصلصال المحروق وشكل أحد جوانبه على هيئة رأس أنثى ناضجة تنتمي إلى العصر الهيلينستي أيضاً (شكل ٤٥)[١٦٨] .

١٦٥ ـ وثمة مجموعة من تماثيل صغيرة نسوية عثر عليها في جزيرة فيلكا كذلك . كان صلصالها يصب في قوالب على مثالها لإنتاجها بأعداد وفيرة تباع للراغبين في تقديمها قرباناً ونذرا لمن ترمز إليهم من معبودات الجزيرة . وظهرت لها أشكال قريبة الشبه بتماثيل التراكوتا للمعبودات الهيلينستية المألوفة ، لا سيما راعيات الخلاص والنصر (نيكى) ، والخصوبة (كورا) . (شكل ٤٦ ، وشكلا ٤٧ ـ ٤٨)[١٦٩] .

١٦٦ ـ ومن التماثيل البرونزية الصغيرة في حفائر الفاو بالسعودية ، تمثال نصفي لأنثى أو معبودة هيلينستية ، زين رأسها تاج أو إكليل ، ومدت ذراعها اليمنى وبسطت كفها ، كما قبضت كف يدها اليسرى التي كانت تمسك بها رمزاً ما . وربما قلد تمثالها هيئة المعبودة أثينا أو الربة تيخي لدى اليونان ، أو المعبودة مينرفا لدى الرومان[١٧٠] .

ويمكن أن تضاف إلى النماذج السالفة الأمثلة الموجزة التالية :

١٦٧ ـ تصوير رؤوس بعض ملكات الأنباط على العملة مع الملوك .

واحتمال إقامة التماثيل لهن أو بأسمائهن ، مما سبق ذكره في الفقرات ٢٤ ـ ٢٦ ، (شكلا ٤٩ ، ٥٠) .

١٦٧ ـ تمثال أبو بنت دميون الذي سلفت الإشارة إلى إقامته في معبد برمرين العربي بالحضر (تراجع فقرة ٤١) .

١٦٨ ـ جزء من تمثال يمثل صدر فتاة ، بلغ ارتفاعه ١٣ سم ، ونقل إلى متحف اللوفر[١٧١] .

١٦٩ ـ بضعة تماثيل مهداة بأسماء نساء قتبانيات للمعابد ، ويحتمل أن بعضها مثلهن بالذات . وقد سبق التنويه بها (في فقرة ٥٠ وحاشية ٥٢) . ومنها تمثال حجري صغير لامرأة تدعى مكاهل من عشيرة رفيق ـ مثلها جالسة فوق قاعدة ، وقد فقد رأسه[١٧٢] .

١٧٠ ـ جزء أوسط من تمثال صغير آخر ، في المجموعة نفسها لامرأة تدعى ابنة بنت ذبثم ينل[١٧٣] .

١٧١ ـ أربعة أجزاء من بقايا أربعة تماثيل حجرية أنثوية صغيرة مماثلة ، فقدت رؤوسها وأطرافها ، وتراوحت ارتفاعات بقاياها بين ١٠ سم وبين ١٣,٥ سم[١٧٤] .

١٧٢ ـ شكل أنثوي نحت في الألباستر ، وحفظ بمتحف عدن ،

ويشير نقشه إلى ذات التخليم (وعشتر مجلس) وقد يمثل نذراً لها كمعبودة الشمس ، ومعبود الشعري (وفقاً للعقائد القديمة ، أو يرمز إليهما معاً بهيئته) ، وقد رفعت اليد اليمنى في وضع الدعاء ، وضمت اليد اليسرى إلى الصدر برمز نباتي ما[١٧٢] .

١٧٣ ـ تمثال صغير من الصلصال لامرأة جالسة ، حفظ بالمتحف نفسه ، ويحمل بعض الشبه مع نماذج عراقية قديمة[١٧٣] .

١٧٤ ـ جزء من تمثال نسوي مجنح (٧١ × ٤٧ سم) قد يرمز إلى معبودة حامية ، في خربة عين براك النبطية[١٧٤] .

١٧٥ ـ لوحة برونزية شغل أغلبها نص سبئي ، من عمران . وأحاطها إطار مزخرف ، وشكلت داخل مستطيل يعلو نص اللوحة لبؤتان مجنحتان بوجهين بشريين ، وبما يشبه هيئة أبي الهول الأنثوي ذي الأصل المصري المحوّر . وحفت كل منهما بشجرة تخيلية قد ترمز إلى شجرة الحياة الأسطورية . كما ظهرت خلف كل منهما نخلة[١٧٥] .

وأخيراً فما من شك في وجود نماذج نسوية عربية أخرى لتماثيل ونقوش تحتويها مخازن ومتاحف الآثار هنا وهناك ، ولاتزال تتطلب إعادة حصرها ودراستها والتعقيب عليها .

١٧٦ ـ أوحت بعض الأشكال الأنثوية ذات الطابع المحلي التي استشهدنا بها باستخدام بعض النساء للنقاب أو الحجاب بصور متنوعة . وظهر ذلك على سبيل المثال في تمثال السيدة الأم الضامة لولدها والملتحفة بالشملة أو العباءة الكاسية فوق ثوبها (شكل ٨ أ ب) . وفي تمثال السيدة المتعبدة التي افترشت ساقيها ، وجمعت شعرها تحت ما يشبه القلنسوة المسطحة (شكل ٢) .
وظهر أيضاً في التشكيل المجسد المصور لوجه سيدة ونحرها ، وقد بدا في خلفيته ما يحتمل أن يدل على استخدامها لطرحة بيضاء رقيقة (شكل ١٤) . وربما في شكل السيدة ذات المرآة والخمار أيضاً (شكل ٣٣) . وتراجع كذلك الفقرات ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

وإذا كانت هذه نماذج قليلة للقول بشيوع الحجاب بين نساء العصور العربية القديمة فيما قبل العصر الجاهلي ، وهو العصر الذي تعرضت له مؤلفات عربية كثيرة ولا ضرورة لإعادة مناقشته هنا[١٧٦] ؛ فإنه يمكن أن يضاف إليها أن الالتزام بالحجاب لم يكن جديداً على بعض مجتمعات الهلال الخصيب الشرقية القديمة .

١٧٧ ـ ويكفي أن يستشهد في ذلك بما أثر عن التشريعات الآشورية التي دونت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد على أقل تقدير ،

من إصرارها على خروج حرائر النساء محجبات من الرأس إلى القدم ، لا سيما إذا خرجن وحدهن ، وعلى أن تسلك الجواري سبيلهن إذا اصطحبن سادتهن . وذلك في حين أعفت التشريعات الكاهنات اللائي وهبن أنفسهن للمعابد ، من ارتداء الحجاب . وحرمته في مقابل ذلك على الإماء وبنات الهوى تمام التحريم ، بحيث إذا ضبطن متحجبات ومتشبهات بالحرائر ، جردن من ثيابهن وضربن بالعصى وصب القار على رؤوسهن . وأوجبت التشريعات على المواطنين إذا رأوهن أو رأوا الجواري محجبات في غير صحبة سادتهن ، أن يقبضوا عليهن ويدلوا بالشهادة ضدهن . وتوعدت من يتغاضى عن تنفيذ ذلك بجلده وثقب أذنيه وتسخيره في أعمال الملك شهراً[١٨٠] .

١٧٨ ـ ومن وجه آخر ، فقد يكون فيما ظهرت به بعض صاحبات التماثيل العربية الأخرى التي تقدمت الإشارة إليها ومثلت الراقصات ، وشبه العاريات ، والمتشبهات بالهيئات الهندية والفارسية والهيلينستية (أي الإغريقية الشرقية) والرومانية ، ما يمكن أن يصدق عليه قول القرآن الكريم في هداية النساء في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب ـ (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) ، وذلك إذا أمكن اعتبار عهود الرفاهية أو البذخ وحب التبرج المبكرة في الجنوب العربي ممثلة لجاهلية أولى تقدمت العصر الجاهلي بمعناه التقليدي المألوف الذي سبق عهد البعثة النبوية الشريفة[١٨١] .

اللوحات

شكل ١ ـ برات (أو برأة) كاهنة النيومات (في إهاب منظور)
(وتراجع الفقرتان ٤٦ ، ١٠١)

شكل ٢ - جاثية متعبدة
(وتراجع الفقرة ١٠٢)

شكل ٣أ - ب - إمرأة تخطو في تؤدة
(وتراجع الفقرة ١٠٣)

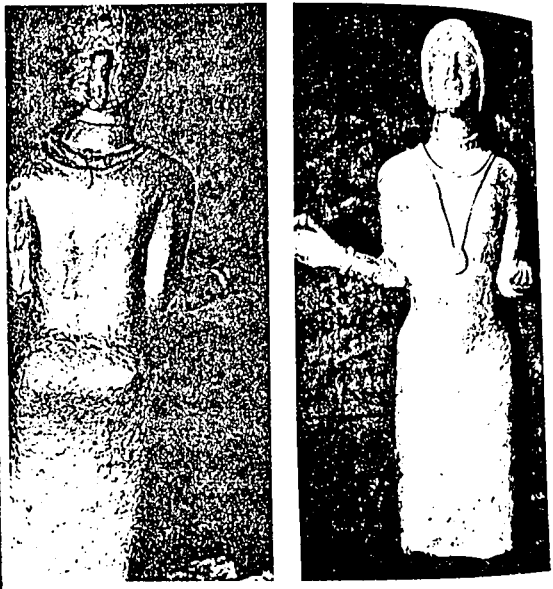

شكل ٤ أ- ب- ثرية أنيفة مستبشرة بعطائها ومعطياتها
(انظر صفحة الغلاف- وتراجع الفقرة ١٠٤)

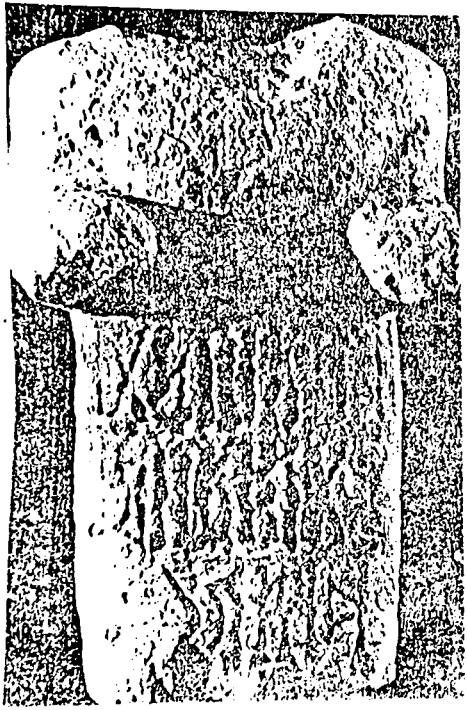

شكل ٥- بقية تمثال لبابنت إيل عم
(تراجع الفقرة ١٠٥)

شكل ٦ ـ رأس أنثى قوية منظلمة
(تراجع الفقرة ١٠٦)

شكل ٧ ـ وجه أنثى (؟) في هيئة تقنيعية
(تراجع الفقرة ١٠٦)

شكل ١٨ـ ب ـ أم ذات عباءة وولدها
(تراجع الفقرة ١٠٨)

شكل ٩ ـ مقدمة قربان.
(تراجع الفقرة ١٠٩)

شكل ١٠ ـ أنثى تطوف في دلال.
(تراجع الفقرتان ١١٢ ـ ١١٣)

شكل ١١ ـ امرأة تهلل
(تراجع الفقرة ١١٤)

شكل ١٢ ـ امرأة ذات شباب وثراء ، ودعاء .
(تراجع الفقرة ١١٥)

شكل ١٣ ـ قنبانية ذات مقام
(تراجع الفقرة ١١٦)

شكل ١٤ ـ وجه أنثوي صبوح وغلالة رقيقة
(تراجع الفقرة ١١٧)

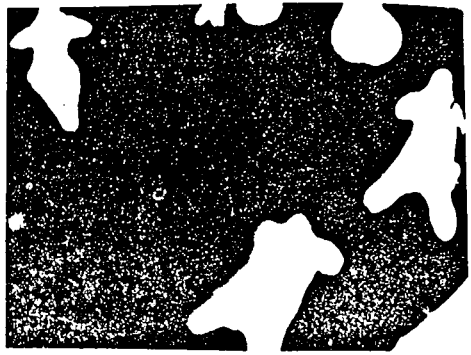

شكل ١٥ ـ دمى نسوية
(تراجع الفقرة ١١٨)

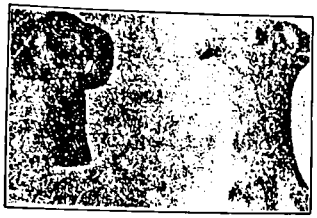

شكل ١٦أ ـ ج دمى بدائية
(تراجع الفقرة ١١٩)

شكل ١٧ ـ سيدة ثرية ذات أتباع
(تراجع الفقرة ١٢١)

شكل ١٨ ـ سيدة ثرية في حياتها العائلية
(تراجع الفقرتان ١٢٢ ، ١٢٣)

شكل ١٩ ـ فتاة من ذوات الضفائر
(تراجع الفقرة ١٢٤)

شكل ٢٠ ـ راعية الحرب والدفاع
(تراجع الفقرة ١٢٥)

شكل ٢١ ـ مقدمة (أو مقدم؟) المجمرة
(تراجع الفقرة ١٢٦)

شكل ٢٢ ـ زوج وقربته
(تراجع الفقرة ١٢٧)

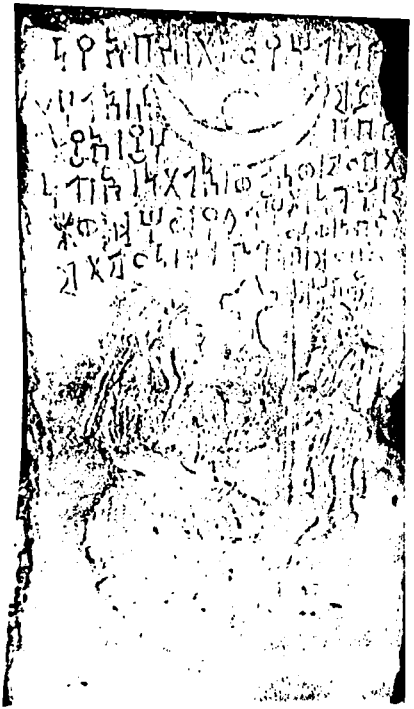

شكل ٢٣ ـ شخصية أنثى مقدسة
(تراجع الفقرة ١٢٨)

شكل ٢٤ - أنثى في مشكاة
(راجع الفقرة ١٢٩)

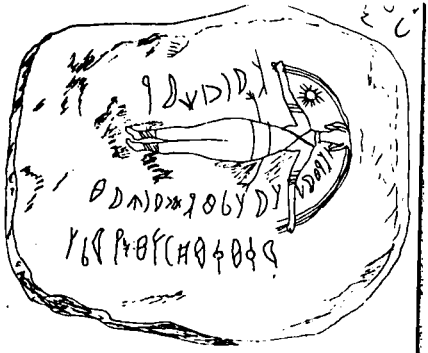

شكل ٢٦ - رأس السيوة الصغيرة
(راجع الفقرة ١٣٥)

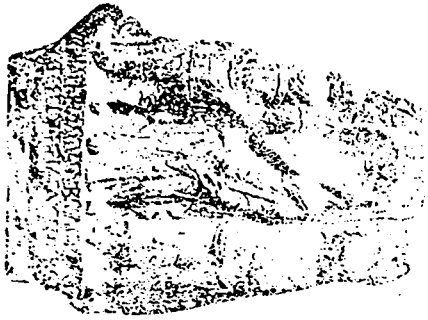

شكل ٢٥ - من سيوطات نادر
(راجع الفقرة ١٣٤)

شكل ٢٧ ـ جارية وعازفة على العود في الجزء العلوي
(تراجع الفقرة ١٣٥)

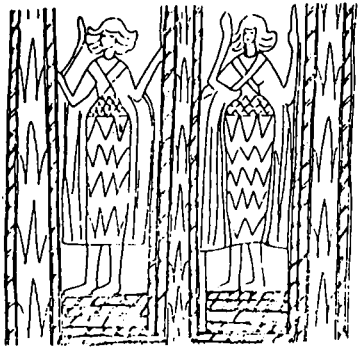

شكل ٢٨ ـ من راقصات المعبد
(تراجع الفقرة ١٣٨)

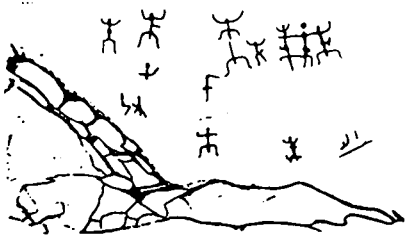

شكل ٢٩ ـ رقصات بدائية
(تراجع الفقرة ١٣٩)

شكل ٣٣ - سيدة عربية ذات مرآة (في الجزء الأسفل)
(تراجع الفقرتان ١٥٠ ، ١٥١)

شكل ٣٠ - تمثال جنبي (؟)
(تراجع الفقرة ١٤٣)

شكل ٣٢ - رجل وأنثى بدائيان
(تراجع الفقرة ١٤٧)

شكل ٣١ - عنان واحصاب
(تراجع الفقرة ١٤٦)

شكل ٣٤ ـ سيدة مصرية ذات مرآة
(تراجع الفقرة ١٥٠)

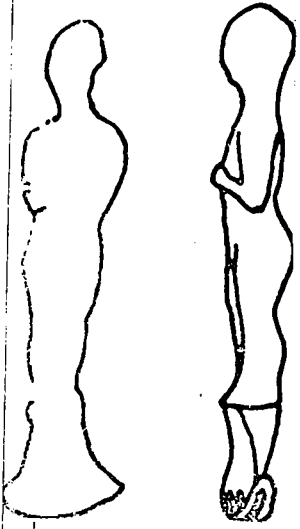

شكل ٣٥ ـ مقبض مرآة على هيئة أنثى
(تراجع الفقرة ١٥٢)

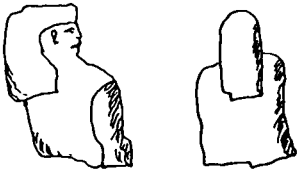

شكل ٣٦ ـ تمثال نصفي لفتاة
(تراجع الفقرة ١٥٣)

شكل ٣٧ ـ السيدة والطائر
(تراجع الفقرة ١٥٤)

شكل ٣٨ ـ متعبدة متأنقة
(تراجع الفقرة ١٥٥)

شكل ٣٩ ـ راقصة محترفة
(تراجع الفقرة ١٥٦)

شكل ٤٠ ـ راعية الكروم
(تراجع الفقرة ١٥٧)

شكل ٤١ أ ـ ب ـ رأس مريم (مريام)
(تراجع الفقرة ١٥٨)

شكل ٤٢ ـ تصفيفة شعر رومانية
(تراجع الفقرة ١٥٩)

شكل ٤٣ ـ سيدة تتمطى
(تراجع الفقرة ١٦١)

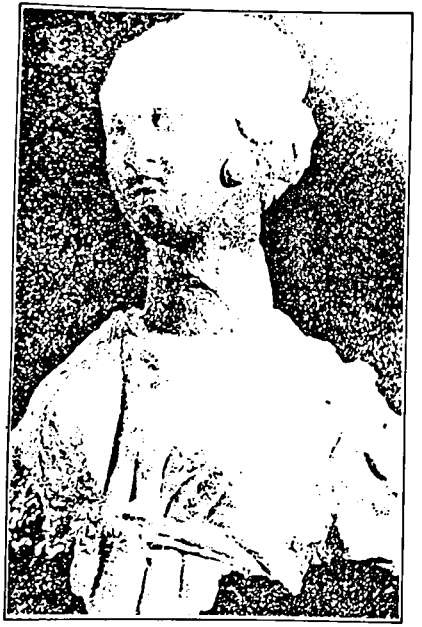

شكل ٤٤ ـ شبيهة افروديت
(تراجع الفقرة ١٦٢)

شكل ٤٥ - رأس في مجمرة من العصر الروماني
(تراجع الفقرة ١٦٣)

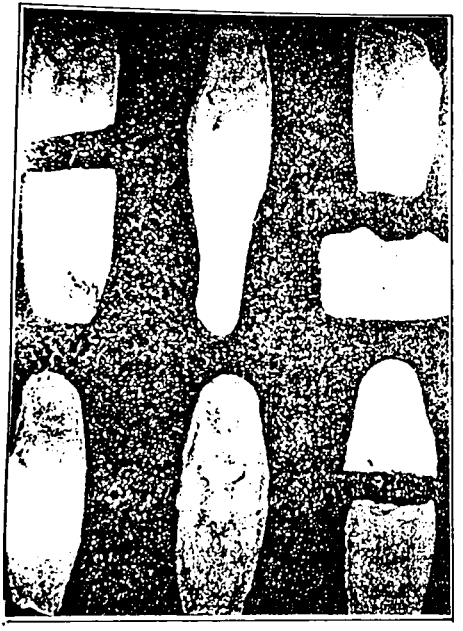

شكل ٤٦ - قوالب تماثيل نسوية للنذور
(تراجع الفقرة ١٦٤)

شكل ٤٧ ـ كورا راعية الترية والخصوبة
(اليونانية المستعربة)
(تراجع لها الفقرة ١٦٤)

شكل ٤٨ ـ نيكي راعية النصر
(اليونانية المستعربة)

شكل ٤٩ ـ ملكة نبطية مع قرينها على العملة

شكل ٥٠ ـ ملك وملكة على عملة نبطية
(تراجع لها الفقرات ٢٤ ، ٢٦ ، ١٦٦)

حواشي ومراجع البحث

(١) أ ـ تراجع بعض استشهادات المصادر الإسلامية القديمة عن المرأة في الجاهلية ـ في سياق الفقرات المرقمة وفقاً لأهميتها : ٩٦ ـ ٩٩ ، ٨٠ ـ ٨٢ ، ٨٥ ـ ٨٦ وحواشيها في هذا البحث ، إلى جانب هذه الصفحات الثلاث التمهيدية الأولى .

ب ـ ويراجع من الدراسات الحديثة التي اعتمدت في شأنها على المؤلفات الإسلامية القديمة أساساً ، دون النصوص والآثار العتيقة :

محمد محمود جمعة : النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية ـ القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٤ ـ ٧٤ ، ٨١ ـ ٨٨ ، أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ـ القاهرة ١٩٥٤ ، علي عبد الواحد وافي : الأسرة والمجتمع ـ القاهرة ١٩٤٥ ، أمير علي : مركز المرأة في الإسلام ـ القاهرة ، عمر رضا كحالة : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ـ دمشق ١٩٥٩ ، علي الهاشمي : المرأة في الشعر الجاهلي ـ بغداد ١٩٦٠ ، جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ـ بغداد ١٩٥٥ ـ جـ ٥ ـ ص ٢٥٢ ـ ٢٧٧ ، ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، ٢٩٨ ـ ٣٠٣ (انظر أيضاً المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧١) ، محمد بيومي مهران : مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٩٧٧ .

ج ـ ويراجع من وجهات النظر الأوروبية في موضوع المرأة العربية من خلال البحث في الحياة الجاهلية أساساً :

Barton, G.A., Semitic and Hamitic Origins, 1934, 95-119; Henninger, Die Familie bei den heutigen Beduinen Arabiens und seiner Randgebiete. Eine Beitrag zur Frage der ursprunglichen Familienform der Semiten, 1943; Lichtenstadter, I., The Women in Ayyam el-Arab, 1935; O'Leary, De Sacy,

Arabia before Muhammad, 1927, 190-193, 201-203; Perron, Femmes Arabies avant et depuis l'Islamisme; Smith, W.R., Kinship and Marriage in Early Arabia, 1907; Wilken, G.A., Das Matriarchat (das Mutterecht) bei den alten Arabern.

(ترجمه إلى العربية بتدلي صليبا الخوري بعنوان : الأمومة عند العرب - بيروت ١٩٠٢) .

د - وتراجع بقية المؤلفات الافرنجية والعربية الحديثة المتصلة بشؤون المرأة العربية فيما سبق العصر الجاهلي ، في سياق مناقشات البحث الراهن وهوامشه .

See, however, N.Rhodokanakis, Die Bodenwirtschaft im alten Sud-Arabien, 1914; A.F.L. Beeston, Temporary Marriage in Pre - Islamic South Arabia, Arabian Studies, 4(1978), 21-25.

(٢) تراجع مراجع حاشية ٨٠ أدناه .

(٣) R.R.,P.P.Jaussen et Savignac, Mission archeologique en Arabie, I-II, 1909, 1914; E.Littmann, Nabataean Inscriptions, in Semitic Inscriptions, 1914, also in BSOAS, XV, 1953, 1 f.; A Kammerer, Petra et la Nabatene, I-II, 1929-1930; J. Cantineau, Le Nabateen, I-II, 1930, 1932; R.Savignac, Rev.Bibl., 1932-35; Q.D.A.P., 1938, 1942; Bibl. Archaeologist, 1955; J. Starcky, Petra et la Nabatene, in Suppl. au Dict. de la Bible, VII, 886-1017; N. Glueck, Deities and Dolphins, The Story of the Nabataeans, 1966; J.M. Riddle, Political History of Nabataeans (from 106 A.D., 1961; Philip C. Hammond, The Nabataeans, ... 1973; etc.

(٤) J. Euting, Nabataean Inschriften, Nr. 8.

خليل يحيى نامي : أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام - القاهرة ١٩٣٤ - نص رقم ٧ - ص ٣٩ - ٤٠ .

(٥) Euting, op.cit., Nr. 7.

خليل نامي : المرجع السابق - نص ٦ - ص ٣٨ - ٣٩ .

(٦) Euting, op.cit., Nos. 2,3,4,8,18,14,19,27;

J.-S., Mission (= R.R.,P.P. Jaussen et Savignac, Mission archeologique en Arabie), I, No. 32, pp.190-192, 242,pl. XX; II.97; etc.; F.V. Winnett and W.L. Reed, Ancient Records from North Arabia, 1970, p.153, no. 79; etc.

(٧) Jaussen-Savignac, Revue Biblique, 1908, 242;

خليل نامي : المرجع السابق - ص ٦٧ - ٦٨ - نص ١٩ ، وانظر : « هذه رقش بنت عبد مناة » :

F.V.Winnett, A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, 1937, 38.

(٨) Euting, op.cit.,65-66, No. 24 = 11. 32.

(٩) Ibid., 44-45, No. 10 = H. 31.

(١٠) Ibid., 50-51, No. 13 = H. 36.

(١١) Ibid., 47-50, No. 12 = D.7.

(١٢) Ibid., 58-59, No. 19 = D.12.

(١٣) Ibid., 51-53, No. 14 = H. 33.

(١٤) Ibid., 33-35, No. 4 = H. 30.

(١٥) Littmann, Semitic Inscriptions, IV, 90-93;

خليل نامي : المرجع السابق - نص ٣ - ص ٢٧ - ٢٨ .

(١٦) « نفشه دي خمرت دي بنه له أذينت بعله » .

De Vogue, Syrie Centrale, pl. 13, 1;

خليل نامي : المرجع السابق - نص ١ - ص ٢٧ .

(١٧) G. H. Lankester, The Curin of Hani, A D A J, II, 1953, no. 141, p.41.

الرجم الرمي بالحجارة ، وحثي التراب والحصى على القبر من الحزن الشديد ، أو إضافة حجر إليه من كومة الأحجار المقامة فوقه .

والرجم (والرجام) حجارة مكومة بعضها فوق بعض على رؤوس القور والأكام (لسان العرب - جـ ١٦ - ص ٢١٥) - أو هي حجارة ضخمة دون الرضام ، وربما جمعت على القبر ليسنم . وقال عبد الله بن مغفل في وصيته : « لا ترجموا

قبري » ، أي لا تحملوا عليه الرجم - أراد بذلك أن سوره بالأرض والا يكون مسناً .

(١٨) Lankester, op.cit., No. 42, p.23.

(١٩) L.A. Tregenza and J.Walker, Nabataean Inscriptions from Eastern Desert of Egypt, Bull. of the Faculty of Arts - Fouad I Univ., Cairo, 1949, 156.

(٢٠) J.-S., Mission, I, no.32.

(٢١) « دكيربنى» هنا واخيروا (أو أختدهم ؟) دى (أو هدى) بنو قبرو أم كمبو » .
J.-S., op.cit., I, no. 18; Winnett and Reed, op.cit., no.89, p.154.

(٢٢) CIH. 198; G.A. Cooke, North Semitic Inscriptions, 80, Euting, op.cit., 29-33, No.3 = D.2.

Ibid., 67-68, No. 26 = D. 11.

(٢٣) Ibid., 68-70, No. 27 = D. 10.

(٢٤) Ibid., 70-71, No. 28 = D. 19.

(٢٥) Ibid., 40-41, No. 8 = D. 13.

(٢٦) R.Dussaud, Numismatique des Rois de Nabatene, nos. 13, 17,65, pls. I, 7,10; II, I; IV, 6, etc.; AJ, 1904,192,203, 215, 216; G.F. Hill, The Ancient Coinage of Southern Arabia, Proc. of the British Academy, 1915, 6,15; Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia (in Brit. Mus.), 1922; etc.

(٢٧) Starcky, BA, XVIII, 4(1955), 96, Fig. 5a; Glueck, op.cit., II-12.

(٢٨) C.I.S., II, 313 f., 354; R.E.S. 1423, 1434; Cooke, A Textbook of North-Semitic Inscriptions, 185 - 187; J.T. Milik, R.B., 1959, 559.

(٢٩) J.T.Milik, Liber annuus X, 1959-1960, 148-150.

(٣٠) (٣١) « ووجم عل أخته وبنى هرجم سنت نجى منمرت هلسطن . . عل آل عوذ » .
والوجوم اشتداد الحزن حتى الإمساك عن الكلام . وانظر حاشية ٣٣ أدناه .
E.Littmann, Safaitic, 14.

(٣٢) F.V. Winnett, An Arabian Miscellany, Annali dell Istituto Orientale de Napoli, 1971, p. 452.

(٣٣) « نصب بن عصم ال تم ووجم عل خلد أخته متت ترحت وعبس ورفعت من ممت » .
وقد يرادف لفظ وجم كلمة رجم ويعنى القبر . وفي اللسان الوجم بالفتح ويحرك حجارة مركومة من صنعة عاد ، جمعها أوجام . (انظر : حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة - ص ٦٢) .
Thamudic, 49.

(٣٤) عبد الرحمن الأنصاري : أضواء جديدة عل دولة كندة - الدارة ١٩٧٧ - ص ١٠٤ - ١٠٥ ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية - جـ ١ - الرياض ١٩٧٩ - ص ٦ - ٧ .

(٣٥) « امتحمد بنت عصم همتمت » .
J.-S. op.cit., II, no. 76; W.Caskel, Lihyan und Lihyanisch.

(٣٦) « هلهى سعد سعدت عل دورت » .
ولفنسون : تاريخ اللغات السامية - ص ١٨٢ .

(٣٧) Hu. 255,12; Winnett, A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, p. 30.

(٣٨) « للبت وخفشت وغرشت هخيرت ذت ول ورثهم » .
جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام - جـ ٧ - ص ١٤٩ .

(٣٩) Winnett and Reed, op.cit., no.5,pp.96-97.

(٤٠) العقد الفريد لابن عبد ربه - ٣ : ٢٧٢ ، وقارن مروج الذهب للمسعودي - جـ ٢ - ص ٩٣ .

(٤١) « نفس عبد سمن بن زد خرج الت بنه سلمه بنت . . . » .
J.S., op.cit., I, 384; Winnett, A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, 15.

(٤٢) « شملته برت قسم هدقت همسلمن لهنا كتب فرضه وأخرته » .

J.-S., op.cit., II, no. 62; Caskel, op.cit., no. 19, also 62.

(٤٣) « اشيعمن بنت دد نذرت بعد بته قن بنت حثل لسلمن هذ نذرت عله أمه فرضه وسعده » .

J.-S., op.cit., 26; Caskel, op.cit., 101.

(٤٤) صلاح البكري اليافعي : تاريخ حضرموت السياسي - القاهرة - ص ٧٤ .

(٤٥) « صلمتا دى أبو برت دميون دى أقيم له برمرين إلها » . ويعتبر أبو من أسماء التحبب . فؤاد سفر : كتابات الحضر - سومر ٢١ (١٩٦٥) - ص ٤٠ - ٤١ ، ٣٢ ، وانظر كذلك سومر ١٩٦٢ ، وسومر ١٩٦٤ .

(٤٦) Cf.W.Wright, An account of Palmyra and Zenibia; J. Starcky, Palmyre, 1952; Cooke, Palmyra, in Encycl. Britannica, 1965; etc.

ولفنسون : المؤلف السابق، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٤٧) Sharpe, History of Egypt, 293

(٤٨) W.Phillips, Qataban and Sheba, 1955, 174 - 176; also, A. Jamme, in Archaeological Discoveries in South Arabia, 191-192; [illegible] دليل متحف عدن - خزانة عرض رقم ٧ - وتراجع فقرة ١٠١ أدناه .

(٤٩) J.350; A.Jamme, Pieces epigraphiques, p.195 f.; Hamilton 7; see below, n. 42.

(٥٠)

(٥١) ولفنسون : المؤلف السابق - ص ٢٥٠ .

M.Lidzbarsky, Ephemeris fur semitische Epigraphik, II.3.S379.

(٥٢) A.Jamme, Notes on the published inscribed objects excavated at Heid Bin Aqil, in 1950-1951, Washington, 1965, pp. 17,29,30,43,45,66,70,71,72,73,75,76,78,79,81, etc.

= TC, 761, 925, 929, 930 + 875, 944, 1078, 1131, 1701, 1774, 1788, 1817, 1818, 1822, 1974, 2008, 2010, 2064, 2162, 2276, 2277, 3002, etc.

J.Ryckmans, Le Museon, 1966.477-478 (J.548).

(٥٣) Hamilton 9; A.Jamme, Remarks on the South Arabian Inscriptions

Hamilton, JAS, 1956, 151-52.

J.Ryckmans, op.cit., 497 (Ja 717).

(٥٥)

(٥٦) خليل يحيى نامي : نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشمالها - مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول - ١٩٤٣ - ص ٢٨ - ٣٠ .

(٥٧) H.derenbourg, Etudes sur l'Epigraphie du Yemen, no.II; JA, 8 ser., t. II, 256 f.

Ja 764, 2-4; Ryckmans, op.cit., 500.

(٥٨)

(٥٩) خليل يحيى نامي : نقوش عربية جنوبية .

(٦٠) ولفنسون : المؤلف السابق - ص ٢٥٢ .

Lidzbarsky, op.cit., II.3.S. 390.

(٦١) J.H. Mordtmann, in ZDMG 39, 235, Taf. II.3,4; Grohmann, op.cit., 237, Taf. XXIII, 3.

(٦٢) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم - ١٩٧١ - ص ١٣٣ .

(٦٣) خمن الهمداني ونشوان والبكري تفسير أسماء إلى ويلقمه ويلمقه بمعنى الزهرة .

(٦٤) See, D.M. Muller, Die Burgen ..., 972; D.Nielsen, Der Sabaische Gott Ilmukah, 1910.

K.Mlaker, Die Hierodulenlisten, pp.1-72; J. Ryckmans, Les "Hierodulenlisten" de Ma in et la colonisation Minéenne, Scrinium Lovaniense, 1961, 51-61.

(٦٥) G.Ryckmans, in Revue Biblique, 1933, also in Museon, 58, 2f.; J.-S, op.cit., II, nos. 28,30,32.

وربما كان للإدارة الملكية في معين دورها في توثيق عقود الزواج .

A.Grohmann, Arabien, 1963,132.

(٦٦) A.W.F., Jame, Some Qatabanian Inscriptions dedicating "Daughters of God", BASOR, 138 (1955), 39-46.

Jamme, 872.

(٦٧) J. 868.

(٦٨) J. 871.

(٦٩) J. 869.

(٧٠) J. 870.

(٧١) T.Weiss Rosmarin, Aribi und Arabien in der Babylonisch-Assyrischen

(٧٢) Quellen. J S O R. XVI. 1932. 1 f., 14 f.; E. Forrer, Provinzeinteilung, 64; N. Abbot, Pre-Islamic Arab Queens, AJSL, LVIII (1941), 1 f.; A.Leo Oppenheim, by J.B. Pritchard, Near Eastern Texts relating to the Old Testament, 1955, 291,312, n.7; R.Borger, Assyriologisch und altarabische Miszellen, Orientalia, XXVI (1957), 1 f.

(٧٣) D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, I, 772,777-778, 818 f.; Leo Oppenheim, op.cit., 283, 284.

(٧٤) Luckenbill, op.cit., II,17-18,55; Leo Oppenheim, op.cit., 285, 286.

(٧٥) Brit. Mus. K.3087, K 3405; M.Streck, Assurbanipal und die letzten assyrischen Konige..., 217 f., 223 f.; Luckenbill op.cit., 940,943; Leo Oppenheim, op.cit., 297, 301.

(٧٦) R. Campbell Thompson, The Prisms of Esarhaddon and of Ashurbanipal, 1931, 20; D. Opitz, AfO, 1931, 7 f.; M. Streck, op.cit., T.Weiss Rosmarin, op.cit.; Luckenbill, op.cit., II, 550-552; Leo Oppenheim, op.cit., 291, 292, 297-298, 300, 301.

(٧٧) عبر عن الكاهن في اللغة الآرامية بلفظ « كومرا » أو « كومرو » .
J.Lewy, Z A, XXXVIII (NF IV), 243 f., E. Ebeling, MAOG, VII, 1933, 86, n.a; Leo Oppenheim, op.cit., 301, n.1.
See also, R. Borger, op.cit., 10.

(٧٨) مبخنو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ـ معرب بالقاهرة ـ ص ٢٠٢ ،

محمد محمود جمعة : النظم الاجتماعية والسياسية عند العرب والأمم السامية ـ القاهرة ١٩٤٩ ـ ص ٧٥ ـ ٩٠ ،

ج . أ . ولكن : الأمومة عند العرب ـ بيروت ١٩٠٢ ـ وراجع حاشية ٩٦ أدناه .

W.R. Smith, Kinship and Marriage in Early Arabia, 1907.

(٧٩) H.J.B. Philby, The Background of Islam, 33.

(٨٠) سورة البقرة ـ آية ١٣٥ ـ ١٣٦ ، سورة آل عمران ـ آية ٦٧ ، وآية ٩٥ ، سورة النساء ـ آية ١٢٥ ، سورة الأنعام ـ آية ٧٩ ، وآية ١٦١ ، سورة يونس ـ آية ١٠٥ ، سورة النحل ـ آية ١٢٠ ، وآية ١٢٣ ، سورة الروم ـ آية ٣٠ ، سورة الحج ـ آية ٣٠ ـ ٣١ ، سورة البينة ـ آية ٥ .
وانظر : تفسير الطبري ـ ٤ : ٢١٧ ـ ٢١٩ ، الملل والنحل للشهرستاني ـ ٣ : ٢٣١ ، معجم البلدان لياقوت ـ ٨ : ١٣٧ ، بلوغ الأرب ـ ٢ : ١٩٦ ، ٢٤٦ ـ ٢٤٨ ، ٢٧٠ ، المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ـ ١ : ٩٩ ، المحبر لابن حبيب : ١٤١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، الأغاني للأصفهاني ـ ١٩ : ٢ ـ ٥ ، الكامل للمبرد ـ ١ : ٢٨٩ ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ـ ٢٩٠ ، أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ـ ص ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٣٨ ـ ٢٤٠ ، ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٨١) الأغاني للأصفهاني ـ ١٤ : ١٣٠ ، الأمالي للقالي ـ ٢ : ٢٧١ ، المحبر لابن حبيب ـ ٤٣٣ ، سيرة ابن هشام ـ ١ : ١٤٣ ـ ١٤٤ ، تاريخ اليعقوبي ـ ١ : ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٨٨ ، ٢ : ١٧ ـ ١٨ ، التنبيه والإشراف للمسعودي ـ ١٧٤ ، أحمد الحوفي : المؤلف السابق ـ ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ ، عمر كحالة : أعلام النساء ١ : ١١١ ـ ١١٢ .

(٨٢) تاريخ الطبري ـ ٢ : ١٩٦ ، ٢٨٠ ـ ٢٨٢ ، تاريخ اليعقوبي ـ ٢ : ٤٠ ، الأنساب للبلاذري ـ ١ : ٩٧ ـ ٩٨ .

(٨٣) الأغاني ـ ١٦ : ٤٩ ، ٩٣ ، الأمالي ـ ٣٣ ، تفسير الطبري ـ ٥ : ١٩٣ ، ديوان حاتم الطائي ـ ٨ ، أشعار النساء للمرزباني ـ ٢٤ ، أحمد الحوفي : المؤلف السابق ـ ص ٢٥٩ ، ٢٦٦ .

(٨٤) أحمد الحوفي : المؤلف نفسه : ص ٦٠ ، ٤٢٠ ، وانظر عن العوانك : إيضاح المدارك في الإفصاح عن العوانك للزبيدي ـ مخطوط ـ ولسان العرب ـ ١٢ : ٣٥١ ، وإنسان العيون ـ ١ : ٤٦ ، ومنها أن العاتكة هي المرأة الشريفة الطاهرة الصافية في حسبها ونسبها ، وذات الرأي والرئاسة بين قومها .

(٨٥) البلاذري ـ ٣ : ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، الأغاني : ٢ : ١٠١ ، مجمع الأمثال للميداني ـ ٢ : ٤٦ ، ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ـ ص ٤٥٠ ـ ٤٦٠ ، وعن فتاة ثمودية تخط على الحجر ، وأنثى ثمودية أيضاً عرفت باسم سحف ربما يمحى من تتلعثم في القراءة ـ أنظر حاشية ٩٤ .

(٨٦) أشعار النساء للمرزباني ، وأخبار النساء للطرواح ، ونزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي ، الحوفي : المؤلف السابق : ٤٦٦ ـ ٤٧٦ ، ٤٧٧ ـ ٥٤٤ ، ٤٨٠ ـ ٤٨٤ .

(٨٧) الإكليل للهمداني ـ ٨ : ٤ ، ١١٥ ـ ١١٦ ، الأمالي ـ ٢ : ١٢١ ، ياقوت ـ ٥ : ٣٥ ـ ٣٧ ، بلوغ الأرب للألوسي ـ ٣ : ٢٩٦ ، شرح الحماسة للمرزوقي ـ ١ : ١٨٥ ، شرح الحماسة للتبريزي ٢ : ١١١ ، الحيوان للجاحظ ـ ٣ : ٣٢٢ ، الحوفي : المؤلف السابق ـ ٣١٦ ، ٣٢٣ ـ ٣٢٧ ، ٣٤٤ .

(٨٨) المؤلف نفسه ـ ١٥٩ ـ ١٦٥ ، ومصادره .

(٨٩) المؤلف نفسه ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ومصادره .

(٩٠) المؤلف نفسه ـ ٢٢٩ ، ومصادره .

(٩١) الأغاني ـ ١٩ : ٢ ـ ٥ ، الكامل للمبرد ـ ١ : ٢٨٩ ، النقائض (لجرير والفرزدق) ـ ٢٦٤ ، المحبر ـ ١٤١ ، بلوغ الأرب للألوسي ٣ : ٤٥ .

(٩٢) من المؤلفات الحديثة التي تعرضت لموضوع الوأد وعوامله : راجع الحوفي : المؤلف السابق ـ ص ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ومصادره ، جواد علي : المؤلف السابق جـ ٥ ـ ص ٢٩٨ ـ ٣٠٣ ، علي عبد الواحد وافي : المؤلف السابق ـ ص ١١٩ ـ ١٢٣ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية (١٩٦٧) ص ٥٤ ـ ٥٥ ، عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب (١٩٦٧) ص ٦١٣ ـ ٦١٧ ، سعد زغلول : تاريخ العرب قبل الإسلام ـ (١٩٧٥) ص ٣٠٩ ، محمد بيومي مهران : المؤلف السابق ـ ص ٢٣٢ ـ ٢٤٥ .

W.R.Smith, Kinship and Marriage in Early Arabia, 1907, 370 f. Hastings Encyclopaedia of Religion and Ethics, 1908 - 1921, I, 669.

وانظر فخر الفرزدق : وجدي الذي منع الوائدات ، وأحيا الوئيد فلم يوأد (الأغاني ـ ١٩ : ٢ ـ ٤ ، ديوان الفرزدق ـ ٤٧٧) ، مما قد يدل على تعرض الجنسين معاً للوأد .

(٩٣) See for example, W.F. Albright, The Archaeology of Palestine, 1961, 63. وانظر الفقرات ١٤٢ ـ ١٤٥ .

(٩٤) A. Von den Branden, Histoire de Thamoud, 57 f.

خالد الدسوقي : مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٩٧٦ ، ص ٢٩٥ .

(٩٥) كان منها ما روى عن معن بن أوس ، وحسان بن الغدير ، والشاعر لبيد ، إلخ . الأغاني ـ ١٠ : ١٥٧ ، ١٤ : ٩٨ ، اللطائف والظرائف للثعالبي ، ٦٧ ، محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ـ ١ : ٢٠٤ ، المؤتلف والمختلف للآمدي ـ ١٦٤ ، ديوان لبيد ـ ١ .

(٩٦) أحمد الحوفي : المؤلف السابق ـ ص ٦٧ ـ ٧٢ ، ٨٠ ـ ٨٦ ، ٩٥ ـ ٩٦ ومصادره . وقارن ج . أ . ولكن : الأمومة عند العرب ـ (١٩٠٢) ـ ص ٢٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٣ إلخ .

W.R. Smith, op.cit., 6, 37,41,47,150, etc.

(٩٧) محمد بن حبيب : ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء ـ مخطوط بدار الكتب المصرية . وورد ذكر رسائل أخرى مشابهة لكل من أبي عبيدة ، والميداني ، وكذا أبي سعيد السكري . واشتهر آخرون بالانتساب أحياناً الى أمهاتهم ومنهم عبد مناف ، وخفاف بن نُدبة ، والأشهب بن ثور ، وقيس بن منقذ ، وأوس بن مغراء ، وربيعة بن عبد ياليل وغيرهم . أحمد الحوفي : المؤلف السابق ـ ٦٨ ، محمد محمود جمعة : المؤلف السابق ـ ٨٣ .

L.Della Vida, A J. 62(1942).

Jaussen - Savignac, Mission, I, 98,119,123,136, 138, 185,204,638; P.V. Winnett, A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, 1937, 35,37,39,40,47; Winnett and Reed, Ancient Records from North Arabia, 1970,80,83,84,87,106,110,111; W. Caskel, Lihyan und Lihyanisch, Nr. 53. Josephus, War, I,29,3; Antiq., XVI,7,6,9-14; Kammerer, Petra et la Nabatene, 212 - 214, N. Glueck, Deities and Dolphins, 375 - 377.

(٩٨)

(٩٩)

(١٠٠) من كاهنات لحيان على سبيل المثال : مؤ إيل ، وسلمى وكانت أمها كاهنة أيضاً ، وبنى هنأ ، إلخ . وعبر عن الكاهن في النصوص اللحيانية (والمعينية) بلفظ أفكل ، وهو لفظ سامي (عربي) ، تشابه مع أفكلا في النصوص الفينيقية ، وأبكللو في النصوص الأكدية . وقيل مثلاً « ذ علم أفكل لت » أي هذا عليم (أو ذو علم) كاهن اللات . وصرفت أفكل وكاهن على مثال أكتب وكاتب . وذكر مؤلف الأغاني الأفكل كشخص له صفة دينية مختلفة عن الصفة الدنيوية ، والأفكل كان عمر بن الجعيد . . إلخ . (الاشتقاق لابن دريد - ١٩٧ ، الأغاني للأصفهاني - ١٥ : ٧٦ ، ٢١ : ١٨٦) . ويذكر ابن الأثير أنه كان يوجد في الحجر كاهنة يستشيرها الناس في مشاكلهم .

J.-S., op.cit., I, 24, 27, 277; R, 3945, 16; Caskel, op.cit., 249; Van den Branden, Histoire de Thamoud, 37,a.

Strabo, XVI, 4, 26.

(١٠١)

(١٠٢) « بعلسمن أحرم هفرت من مه ترقه مرأة لبهنى هنأ أفكلت » .

J.-S., op.cit., II, 64; Caskel, op.cit., Nr.12, S. 81; Winnett, A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, 17.

(١٠٣) راجع المعجم السبئي - من منشورات جامعة صنعاء - ١٩٨٢ .

Beeston, Ghul, Muller and Ryckmans, Sabaic Dictionary, 1982; Beeston, Sabaean Inscriptions, 4; Muscon, 1952, 279; Temporary Marriage in Pre-Islamic South Arabia, Arabian Studies, 4 (1978), 21 - 29; etc.

(١٠٤) أنور ليثمان : أسماء الأعلام - مجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول - ١٩٤٨ - ص ٤١ - ٥٠ .

وراجع عبد الرحمن الأنصاري عن الأسماء اللحيانية ، ويوسف محمد عبد الله عن الأسماء الصفوية .

E. Littmann, Nabataean Inscriptions, in Semitic Inscriptions 1914; BSOAS, 15 (1953), 1 f.; A.Van den Branden, Essai de Solution du Probleme thamoudeen, Bibliotheca Orientalis, XV, 1-2, 1958, 8.

L.Harding, An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, 1971, A. al-Ansary, A Critical and Comparative Study of Lihyanite Personal Names.

(١٠٥) عبد العزيز صالح : الأسرة في المجتمع المصري القديم - القاهرة ١٩٦١ ، التربية والتعليم في مصر القديمة - القاهرة ١٩٦٦ - ص ٢١ ، ٦٣ - ٧٦ ، ومصادره ، الأرض والفلاح في مصر القديمة - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - القاهرة ١٩٧٤ - ص ٢٤ - ٢٥ ، ٣٧ ، ومصادره .

(١٠٦) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم - الطبعة الرابعة - ١٩٨٤ - ص ٤٣٢ ، ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٥ - ٤٦٧ ، ٥٠٢ ، ٥١٠ - ٥١٢ ، ومصادره ومراجعه .

انظر أيضاً : هاشم الحافظ : تاريخ القانون العراقي - بغداد ١٩٦٢ - ٦٣ ، رضا الهاشمي : الزواج والطلاق في العهد البابلي القديم - المؤتمر الخامس للآثار - القاهرة ١٩٦٩ - ٥٢٦ - ٥٨١ .

Luckenbill, AJSL, 1917, 1 f.; Sexhorr, Urkunden ..., 1913; Brooks, AJSL, 1923, 187 f.; Donald, in Toronto Univ. Studies, 1931; Falkenstein, Neu Sumerischen Gerichtsurkundern, 1958; etc.

(١٠٧) L.M.Esptein, Marriage Laws in the Bible and the Talmud, 1942; E. Neufeld, Ancient Hebrew Marriage Laws, 1944; E.M., MC. Donald, The Position of Women as reflected in Semitic Codes of Law, Univ. of Toronto Studies, Oriental Series, 1931; I. Mendelsohn, The Conditional Sale into Slavery of Free-born Daughters in Nuzi and the Law of Ex., 12, 7-11.

JAOS, 55, 1935; etc.

(١٠٩) محمد محمود جمعة : المؤلف السابق - ص ٥٩ - ٧٤ ، ومراجعه .
أحمد الحوفي : المؤلف السابق - ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ، ومراجعه .
محمد علي : حياة محمد ورسالته (١٩٦٧) - ص ٢٧ - ٢٨ .

(١١٠) الأغاني - ٩ : ١١ ، ١٤٢ ، ١٣ : ١٣٨ ، ١٥ : ١٣٢ ، ١٦ : ١٠٠ ، ١٨ : ٢١٧ ، مجمع الأمثال للميداني - ١ : ١٢٤ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة - ١ : ١٦٧ ، أحمد الحوفي : المؤلف السابق - ١٣٦ ، ١٤٥ - ١٤٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، عمر كحالة : المؤلف السابق - ١ : ٣٠٨ - ٣١٠ ، ٣٧٦ - ٣٧٧ ، ٢ : ٢٩٧ - ٢٩٩ ، ٥ : ١٣ - ١٧ .

(١١٠) الأغاني ١٣ : ١١٩ ، ١٦ : ٦٠ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ذيل الأمالي - ١٥٣ ، مجمع الأمثال - ١ : ٣١٨ ، المحبر ٣٩٨ - ٣٩٩ ، البيان والتبيين للجاحظ - ١ : ٩٩ ، أخبار النساء - ٥٤ .
أحمد الحوفي : المؤلف السابق - ٢١٣ - ٢١٥ ، جواد علي : المؤلف السابق - ٥ : ٢٧٠ - ٢٧١ ، عمر كحالة : المؤلف السابق - ١ : ٢٦٤ ، ٢ : ٢٤٩ - ٢٥١ ، ٤ : ٤٨ - ٥٠ ، ٥ : ١٣ - ٢٠ .

(١١١) تفسير الطبري - ٤ : ٢١٧ - ٢١٩ ، ٨ : ١٤٠ ، تفسير روح المعاني - ٤ : ٢٦١ ، المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا - ١ : ٩٩ ، الملل والنحل - هامش الفصل ٣ : ٢٣١ ، بلوغ الأرب للعطار - ٣١ .
أحمد الحوفي : المؤلف السابق - ٢٠١ ، جواد علي : المؤلف السابق - ٥ : ٢٥٩ - ٢٦٥ ، محمد مهران : المؤلف السابق - ١٥٨ .
Compare, however, Strabo, XVI, 4:783; Glaser, Polyandrie oder Gesellschaftsehen bei den alten Sabaern, in Allgemeine Zeitung Muenchen, Dec. 8, 1897; Winckler, Die Polyandrie bei den Minaern, in Altorientalische Forschungen, I, 81-83.

(١١٢) المحبر - ٢٣٦ - ٢٣٧ ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم - ٢٩٠ ، وتراجع بعض المؤلفات الأجنبية في حاشية ١ - ج أعلاه .

See, C. Conti-Rossini, A.a.o., Dedalo, 12 (1927), 728 f.; (١١٣)
B.Segall, in Archaeological Discoveries in South Arabia, I, 155 f.; Am. J. of Arch., 59 (1955), 212 f.; Nielsen and others, Altarabischen Altertumskunde, I, 1927, Abb. 54; A Fakhry, An Archaeological Journey to Yemen, I, 1952, 136-138, fig., 95; A. Grohmann, Arabien, 1963, 231.2.3.4.

وتراجع الفقرات ١٥٠ - ١٦٥ وحواشيها .

(١١٤) W. Phillips, Qataban and Sheba, New York, 1955, 172-175, p. 175; B. Segall, op.cit., 214, pl. LXI, figs. 16,17.

دليل متحف عدن - خزانة عرض رقم ٧ (ع . م ٤٨٣) وتراجع فقرة ٤٦ .

(١١٥) W. Phillips, op.cit., 166, 2, also 165, 1; Grohmann, op.cit., 220, Taf. XV, 2, after Kh. Nami.

(١١٦) A. Jamme, Some Qatabanian Inscriptions dedicating 'Daughters of God', BASOR, 1955, 43.

(١١٧) A. Fakhry, op.cit., I, fig. 70, p. 29; II, pl. XLII.

(١١٨) متحف صنعاء (Y.M. 1803)

(١١٩) F.P. Albright, Catalogue of objects found in Marib Excavations, Archaeological Discoveries in South Arabia, 271-272, no. 22.

(٢٠) Ibidem, p. 272, no. 23

(١٢١) Ibidem, no. 24.

(١٢٢) Ibidem, p. 272, nos. 25-31.

(١٢٣) W.Phillips, op.cit., 115, 1.

(١٢٤) Ibidem, 166, 1.

وهناك فرض باعتبار الجزر من القرابين النباتية المستحبة في العقائد العربية الجنوبية القديمة (انظر دليل متحف عدن - ص ٤) - وبما للاخصاب .

(١٢٥) Also, Grohmann, op.cit., 238, Abb. 108

انظر أيضاً ـ عبد الرحمن الأنصاري ـ قرية الفاو ـ الرياض ١٩٨٢ ، ص ٢٧ ، ٩١ .

(١٢٦) سليمان سعدون البدر ، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ـ الكويت ١٩٧٤ ـ لوحة ٥٩ .

(١٢٧) محمود الغامدي : الحفريات الأثرية في شرق الأردن ـ حوليات الأردن (١٩٦٤) ـ المجلدان ٧ ، ٨ ـ ص ٣٩ ـ ٣٨ .

(١٢٨) Grohmann, op.cit., Taf. XVII, 3.

(١٢٩) Ibidem. Taf. XVII, I; Cl. Ganneau, Un Sacrifice a Athtar, J.A., XV, 302

(١٣٠) f. Nielsen, op.cit., Abb. 57.

Glas ser 738, Grohmann, by Nielsen, Handbuch, 167-168.

(١٣١) Grohmann, Arabien, Taf. XVII, 2.

(١٣٢) CF. However, Jacqueline Pirenne, Notes d'archeologie Sud-Arabe, III - V; Syria, 1962, 257 f.; 1965, 109 f.; 311 f.

(١٣٣) W.L.Reed -F.V. Winnett, Ancient Records from North Arabia, Toronto, 1970, 31, 167-171, and references.

وتبلغ أبعاد اللوحة ٢٤ سم ارتفاعاً ، ٢٣ سم عرضاً ، ٢ ـ ٤ سم سمكاً . ويبدو أنها نقلت الى متحف الآثار بجامعة الملك سعود .

(١٣٤) محمود الغامدي : المقال السابق ـ ص ٣١ ـ ٣٢ .

(١٣٥) Peter, J. Parr, Nabtaean Sculpture from Khirbet Brak, Ann. Dept. of Antiq. of Jordan, 1960, 134-136.

(١٣٦) W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, 1961, 106, fig. 27.

(١٣٧) P.J. Parr, op.cit., pl. XV, 2.

(١٣٨) رنيه دبسو : العرب في سوريا قبل الإسلام ـ معرب بالقاهرة ، ١٩٥٩ ـ شكل ٢٨ ، وشكل ٣٠ ـ ص ١١١ ـ ١٣٨ .

(١٣٩) Grohmann, op.cit., Taf. XVIII, I; CIH, no. 445; J.H. Mordtmann, Z D M G, 35, 432-433, Taf. I; H. Derenbourg, Nouvelles Etudes sur l'Epigraphie du Yemen, no. 9, p. 10 f.

(١٤٠) الإكليل ـ جـ ٨ ـ الطبعة الثانية ـ برنستون ـ ١٩٤٠ ـ ص ١٤٢ .

(١٤١) N.A. Faris, The Antiquities of South Arabia, Princeton Oriental Texts, III (1938), 87.

(١٤٢) A. Fakhry, op.cit., 124, fig. 74; also, C. Rathjens, Kulturelle Einflusse in Sudwest Arabien, Jahrbuch f. Kleinasiatische Forchungen, I, 1950, Abb. 16.

(١٤٣) A. Fakhry, op.cit., I, fig. 99, pp. 143-144; II, pl. LXII.

الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة ـ وزارة الإعلام والثقافة (١٩٧٥) ـ ص ٧٥ .

(١٤٤) Winnett-Reed, op.cit., 7; also, Van den Branden, T T P, II, XXV-XXVIII; H T, 80-84.

(١٤٥) Lankester Harding, The Carin of Hani, Ann. Dep. Antiq of Jordan, II (1953), 31, 32.

(١٤٦) See, Jaussen, nos. 123, 125 (R B 34, 1926, 9, Taf. XIII, nos. 2,3); Grohmann, op.cit., 185, n. 3.

(١٤٧) سليمان البدر ـ المؤلف السابق ـ شكل ٤٠ ـ ص ١٢١ .

(١٤٨) عبد الرحمن الأنصاري : المؤلف السابق ـ ص ٢٧ ـ ٩١ ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ ابريل (١٩٨٤) ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(١٤٩) سليمان البدر : المؤلف السابق .

(١٥٠) محمود الغول : تقرير خطي عن رحلة إلى بدنة ـ ١٩٦٧ . وانظر حاشية ٩٣ .

(١٥١) الآثار في دولة الإمارات العربية ـ المؤلف السابق ـ لوحة في مقابل ص ٧٧ .

(١٥٢) مجلة كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ـ جـ ٢ (١٩٧٨) ـ ص ٨٢ ـ لوحة ٢٧ .

(١٥٣) Grohmann, op.cit., 228.

(١٥٤) حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة ـ بيروت ١٩٧٠ ـ ص ٦١ .

(١٥٥) لوحة من الحجر الرملي رقم ٦ / ٣ / ٨٦ فقد جزؤها السفلي وتركت خلفيتها وجوانبها خشنة . . وتبلغ أبعاد اللوحة ٤٤ سم ارتفاعاً ، ٣٠,٥ سم عرضاً ،

١٠,٥٠ سم سمكاً ، ويبلغ ارتفاع شكل النصف العلوي ١٣ سم وعرضه ١٨,٥ سم ، أما الجزء السفلي فهو ١٤ سم ، وارتفاع رأس السيدة ٧ سم .

(١٥٨) Compare, Egyptian Theban Tomb No. 140, side H; J.B. Pritchard, The Ancient Near East, I, 1973, fig. 14 (Turin Museum).

(١٥٨أ) Savignac, R B, 1934, 587, fig. 10; Grohmann, op.cit., 184-185, and references.

(١٥٨ب) سليمان سعدون البدر - المؤلف السابق - شكل ٣٩ - ص ١٢١ .

(١٥٩) N. Rao, A Bronze Mirror Handle from the Barbar Temple, Bahriain, Kuml, 1969, 220.

J. Euting, Tagebuch einer Reise in Inner-Arabien, II, 1914, 240.

Abdel-Aziz Saleh, Some Monuments of North-Western Arabia in Ancient Egyptian Style, Bull. of the Faculty of Arts, Cairo University, XXVIII (1966), 17; Nielsen, op.cit., I, Abb. 54; A S A E, 1948, 579, fig. 7; Grohmann, op.cit., 220.

وتراجع حاشية ١١٣ ، وحاشية ٦٢ .

وعن احتمال تقليد هيئة المعبودة المصرية القديمة إيزيس (إيسة) وولدها حورس (حور) :

See, B. Segall, Sculpture from Arabia Felix, The Hellenistic Period; AJA, 59, (1955), 2077 f.; Abdel-Aziz Saleh, op.cit., 9-10.

(١٦٠) عبد الرحمن الأنصاري : قرية الفاو - ٢٦ ، ٩٥ ، إلخ .

J. Bird, Hamaiyaric Inscriptions from Aden and Seba, JBBRAS, II, 36, pl. VI; WZKM, 1930, 295 f.; Grohmann, op.cit., 225, Abb. 103.

(١٦١) W. Phillips, op.cit., 336, 2.; W.F. Albright, Archaeology, VII (1954), 254.

See also, B. Segall, op.cit., 207 f. 315 f.

(١٦٢)

(١٦٣) أحمد فخري : اليمن - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٦٢ - ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، شكل ٢٩ - لوحة ١٨ .

(١٦٤) W. Phillips, op.cit., 98, 112-113.

(١٦٥)

(١٦٦) Brit. Mus. Inv. 127409; Schlobies, A.A.O., 242; Grohmann, op.cit., 232, Taf XXII, 1.

J.H. Mordtmann, ZDMG, 35, 438, Taf. II; Grohmann, op.cit., 218, 222. Abb. 102.

(١٦٧) تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا (١٩٥٨ - ١٩٦٣) ، إدارة الآثار والمتاحف - وزارة الإرشاد والأنباء - شكل ٢٤ - ص ٦٩ .

(١٦٨) التقرير نفسه - شكل ٢٦ - ص ٧٣ .

(١٦٩) نفس التقرير - أشكال ٣ ، ٤ ، ١٥ - ص ٣١ ، ٣٢ ، ٥٣ .

(١٧٠) عبد الرحمن الأنصاري - المؤلف السابق ص ٢٦ ، عبد اللطيف أحمد علي - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد ٣٨ - ابريل ١٩٨٤ - ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(١٧١) RES, 641; H. Derenbourg, op.cit., 65, no. 14B

(١٧٢) A.Jamme, Notes on the published inscribed objects excavated at Heid Bin-Aqil, in 1950-1951, U.S.A., 1965, 71 (TC 1818).

(١٧٣) Ibidem, 17 (TC 761)

(١٧٤) A.Jamme, Qatabanian Inscriptions dedicating 'Daughters of God', BASOR, 138 (1955), 43, fig. 2.

(١٧٥) دليل مختصر لمتحف عدن - ص ٤ - خزانة عرض رقم ١ .

(١٧٦) الدليل نفسه - ص ٤ - خزانة عرض رقم ٢ .

(١٧٧) P.J. Parr, op.cit., pl. XV, 2.

(١٧٨) CIH, 73, ZDMG, 19, Taf. I; Grohmann, op.cit., 237, Abb. 106.

وانظر عن تمثيل وجه الليزة كرمز ديني أنثوي لدى العرب الشماليين

اصدارات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

الكتاب	اسم المؤلف
تضخم وأثره على البيانات المالية المنشورة لشركات المساهمة الكويتية	د . يوسف عوض العادلي
علاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز	د . فؤاد محمد الماوى
ستراتيجية التنمية الزراعية في الجمهورية العربية اليمنية	د . عادل هندي
رحلات والكشوف الأثرية في شبه الجزيرة العربية	أ . د . عبد العزيز صالح
رسالة في قطاع التشييد والبناء في الكويت	د . أمل يوسف العذبي الصباح
مدى فعالية الميزانيات التقديرية كأداة للتخطيط وتقييم الأداء والرقابة في المنشآت الصناعية بالكويت	د . محمد صبري العطار د . محمد محمود خيري
دراسة مسحية تحليلية للبحوث التربوية عن الكويت	د . عبد الرحمن الأحمد
البيئة وأثرها في انشاء الشركات الكويتية للتكنولوجيا	د . فؤاد أبو اسماعيل د . عبد العال الشامي
تقديم العروض في كتابات الجغرافيين العرب نحو فهم أفضل لأسباب الخلل السكاني في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط	د .. على الكواري
الموانئ الكويتية التجارية	أ . زين الدين عبد المقصود
المفهوم الحديث للتسويق وتخطيط الخدمات المصرفية في البنوك التجارية الكويتية	د . عبد الفتاح الشربيني
مطالع النيران	د . السيد عبده ناجي د . محمد عيسى صالحية